رحلة الى الدار الآخرة

دكتور
عبد القادر محمود

مركز الكتاب للنشر

عبد القادر محمود

رحلة إلى الدار الآخرة

مع المعرىّ ودانتى

مركز الكتاب للنشر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

مركز الكتاب للنشر

مصر الجديدة : ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة

ت: ٢٩٠٨٢٠٣-٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس : ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١شارع ابن النفيس-المنطقة السادسة- ت:٢٧٢٣٣٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

« إنَّ كُلَّ ما يبتهج له الحِسّ

باطِّل وضعيف. . .

والحكيمُ الحكيمُ، لن يَجد راحة فيما يزول ويفنى!

ولن يجد سَعادة فى شيءٍ ينالُ منهَ الزمان. .

لقد وُلدت الروح من السماء. .

فهى دائماً تحنّ إلى السماء. . »

«هوميروس» [٩ - ٨ ق م]

لاتظلموا الموتى وإن طال المدَى

إنى أخافُ عليكمو أن تَلْتَقُوا

«أبو العلاء المعرىّ»

[١٠٥٨]

«فى ساحات التطهرُّ الدائم

يمكن للإنسان اجتياز كلُّ العقبات

نحو كعبة السكينة السماوية»

دانتى [١٣٢١ م]

مقدمة تمهيدية

عن الرحلات السابقة إلى الدار الآخرة

لم يكن أبو العلاء المعرّىّ، فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى، هو أول من قام برحلة طويلة إلى الدار الآخرة، فى رائعته الخالدة، رسالة الغفران . .

ولم يكن دانتى أليجيرى Dante Alighieri كذلك هو ثانى من قام برحلته الرائعة إلى الدار الآخرة، فى رائعته الخالدة: الكوميديا الإلهية، مع القرن الرابع عشر، وبعد المعرى بثلاثة قرون.

إن المصريين القدماء، هم أول من عَبَروا الحياة الدنيا إلى ساحة الآخرة فى حياتهم، وأفكارهم وأعمالهم، حيث تصوّروا الفردوس بما فيه من نعيم، والجحيم بما تحتويه من عذاب . . وعندهم أوزيريس، راعى ميزان العدالة فى الآخرة وقاضى محكمة الجزاء الأولى. وفى ديانة «بابل» تهبط «عشتروت» إلى الجحيم، لتبعث «تاموز» إلى الحياة، وفى العقائد الهندية والفارسية القديمة، جحيم ومَطْهَرٌ وفردوس . .

وفى التراث اليونانى القديم نشهد «هوميروس»، يرحل بنا مهاجراً إلى عالم الموتى والأبالسة، والأطهار، فى رائعتيه:

الإلياذة الأوديسة مع «أخيل» و«أوديسيوس»، كما نشهد «أرستوفانيس» فى ملهاته الخالدة: الضفادع، مهاجراً إلى الدار الآخرة، ليبعث إلى الحياة الأرضية أحد الثلاثة الخالدين أيسخيلوس ويوربيديس وسوفوكليس، لإنقاذ الدراما اليونانية من الانهيار والضياع . . .

وفى التراث الرومانى، نجد «فرجيل» الشاعر العملاق مع نفس الرحلة، فى الإنيادة الخالدة .

فإذا وقفنا أمام ساحة الديانات السماوية الكبرى، وجدنا فى اليهودية مشاهد الدار الآخرة، مع أرض الظلام، والعذاب، وجنات النعيم. . وفى المسيحية نُشاهد معارج القديسين، ورؤى الصّديقين. . ثم نرى ونشاهد فى الإسلام صُوراً ومشاهد رائعة، لأولئك المُقرّبين، فى جنّات النعيم. . ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾[١]. ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾[٢]. كما نشهد مكان المُعذّبين من أهل الجحيم

(١) الآيات ١٥ - ٢٤ من سورة الواقعة.

(٢) الآيات ٢٨ ـ ٣٤ من سورة الواقعة.

﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾[1]. . هناك عند شجرة الزقوم ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾[2]. ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[3]. كما نجد مشاهد رائعة ومروّعة فى دراميتها لمشاهد ليلة الإسراء والمعراج، مع النبى محمد ﷺ وهو فى صحبة جبريل عليه السلام، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فى إسرائه ثم فى معراجه إلى سدرة المنتهى، حيث رأى من ربه الأعلى، بدائع آياته الكبرى ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[4]. هذه المشاهد التى أثارت الدهشة الكبرى، فى ساحة الفكر الفنى والأدبى والفلسفى، وفى حقل الفلسفة الصوفية والدراسات النفسية الصوفية بالذات، وتركت آثارها واضحة فى كثير من الأعمال الخالدة فى مختلف حقول الفنون والآداب العربية وغير العربية، شرقية وغربية على السواء.

---

(١) الآيات ٤٢ ـ ٤٤ من سورة الواقعة.
(٢) الآيات ٦٤ ـ ٦٧ من سورة الصافات.
(٣) الآيات ٤٣ ـ ٤٩ من سورة الدخان.
(٤) الآيات ١ ـ ١٧ من سورة النجم

لكن العمل الضخم المتكامل فى عالم الفكر الإنسانى بوجه عام هو رحلة أبى العلاء ودانتى إلى الدار الآخرة مع رسالة الغفران والكوميديا الإلهية، وإذا كنا نتفق على أن هناك عملاً آخر متواضعاً[1] قدمه الحارث المحاسبى الصوفّى العالم، المتوفى سنة ٢٤٣هـ = ٨٥٧م، قبل المعرّى بقرنين كاملين، وذلك فى رسالته (التوهّم) التى تَخَيَّل أو توهم فيها، رحلة إلى العالم الآخر فى صور ساذجة أغلبها مقتبس من مشاهد ليلة الإسراء والمعراج.. أقول إذا كنا نعتبر هذا محاولة سابقة للمعرى ودانتى فإن العمل المتكامل حقاً، هو ما أبدعه بعبقرية ليس لها نظير، ذلك البصير العملاق أبو العلاء، وذلك البصير العملاق دانتى.. فى رحلتيهما الخالدين، إلى الدار الآخرة..

١٥ من المحرم ١٤١٧هـ الموافق أول يونيو سننة ١٩٩٦م.

أ.د: عبدالقادر محمود

(١) د. محمد على دقة : مجلة العربى (مقال) عدد ١٤٣ شهر شوال ١٤١٣هـ أبريل ١٩٩٣م.

أولاً رحلة المعرى

٣٦٣ هـ - ٤٤٩ هـ

٩٧٣ م - ١٠٥٨ م

لاشك أن أبا العلاء المعرىّ فى مقدّمة مَنْ يَصْدق عليهم القول بأنهم خيرُ من يقدمون أنفسهم فى كل خطوة، من رحلة الحياة[1]، مُنْذ وُعَى وسجلّ اعترافاته، شعراً ونثراً، عن سيرة حياته ومعاناته، إلى أن رحل عن الدنيا التى نفض يده وروحه منها، من البداية، بعد أن سجّل فلسفته فى الحياة والموت، بكل صدق وأمانة واخلاص.

ولد مع نهايات ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة للهجرة وتوفى فى نفس شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمائة هبط إلى الدنيا فى مدينة تقع فى وادٍ بين مرتفعات، يقال لها: «مَعَرّةُ النّعمان» نسبة إلى النعمان بن بشير الأنصارى.

اسمه المتكامل: أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخى المعرى، اللغوىّ الشاعر.. رهين المحبسين، أو رهن السجون كما قال عن نفسه:

---

(١) د. عائشة عبدالرحمن: أبو العلاء المعرى من سلسلة أعلام العرب (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر-الهيئة المصرية العامة للكتاب المقدمة(٤).

أرانى فى الثـــلاثة من سُجُونى

فلا تســـأل عن النبإ النبيـث

لفقدى ناظـــرى، ولزوم بيتى

وكون النفس فى الجسد الخبيث[1]

وعلى الرغم من ولادة أبى العلاء فى عصر انحلال الدولة العباسية وشيخوختها، فقد نشأ فى عصر بلغت فيه الثقافة العربية الإسلامية أعلى ذُراها [2] بعد أن هضمت ونشرت تراث مختلف الحضارات اليونانية والهندية والفارسية، وأرست أصول علوم الدين والفقه والتفسير، والحديث واللغة والأدب والشعر والكلام، والفلسفة والطبيعة والكيمياء، والرياضيات والفلك وغيرها مما فاضت به خزائن الكتب فى عواصم البلدان المتنافسة فيما بينها على الفضل والعلم والآداب.

كما نشأ المعرىّ مع الجيل الذى بدأ العربّى المسلم فيه، يشعر

---

(١) المعرى: اللزوميات.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف: مجلة تراث الإنسانية ٢/ ٥٧ .

بحاجته إلى توكيد ذاتيته، (داحضا تُهمة العُجْمة عن نسبه ولسانه[1]).

وكانت أسرته من سلالة عريقة فى الفضل والعزة والعلم والأدب يتولى أبناؤها قضاء المدينة وماجاورها، وكان أكثر قضاة المعرّة وفضلائها وعلمائها وشعرائها وأدبائها من بنى سليمان، الجدّ الخامس لأبى العلاء، وَلِىَ حفيده أبو الحسن سليمان بن أحمد القضاء، ثم تولاه من بعده، ولده أبو بكر محمد، جد والد أبى العلاء وَخَلَفَهَ ولده أبو الحسن سليمان بن محمد جد أبى العلاء مباشرة وكانت جّدة أبى العلاء لأبيه (أم سلمة) من رُواة الحديث الشريف وقد عاشت حتى بلغ حفيدها أبو العلاء سنّ الطلب.. من هنا لانجد أية غرابة فى أن يفتخر أبو العلاء بنسبه وأسرته وقبيلته فيقول فيما يقول:

أتمشى القوافى تحت غير لوائنا

ونحـــنُ على قُوّالهــا أُمـــراء؟

---

(١) المرجع السابق للأستاذ أحمد إبراهيم الشريف وارجع أساسا إلى المصادر القديمة ابن خلكان : وفيات الأعيان ١/ ٤١، والخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ٤/ ٢٤٢، وياقوت: معجم الأدباء ١/ ١٦٢.

وأىُّ عظيــم رابَ أهــل بــلادنا

فإنَّـــا على تغييــره قُـــدراءُ

وما سلبتْنـــا العـــزّ قطُّ قبيلة

ولابـــات منا فيهمـــو أُســـراءُ

ولاسار فى عرض السماوةِ بارقٌ

وليـــس له من قومنـــا خُفَـــراءُ

ولاشك فى أن المصادر التاريخية والأدبية تجمع[1] على حقيقة واحدة مُرّة كل المرارة، حين تؤكد أن ولادته كانت يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ٣٦٣هـ. . ورغم أن مغيب الشمس أو مشرقها لا يؤثر فى حظوظ المواليد، فإن هؤلاء المؤرخين اعتبروا ولادته مع المغيب من يوم الجمعة آخر الأسبوع، لثلاث بقين من الشهر فى أُخرياته، كل هذا اعتبروه فاتحة استقبال جازع فاجع لميلاد وحياة وفكر وعقل أبى العلاء!!! ولم تمض إلا سنوات ثلاث أيضا أو أربع، حتى يفجع أبو العلاء بفقد بصره، حين اعتل علة الجدرىّ التى ذهب فيها بصره. .

(١) المصادر السابقة للخطيب البغدادى وابن خلكان وياقوت.

وهكذا شاع ليل الظلام فى دنياه وفى نفسه وهو بعد طفل متوقّد الذهن، يستقبل الحياة.. ومن ذلك الحادث المؤلم الفاجع تبدأ رحلة أبى العلاء مع الدنيا والآخرة معاً، فى صراع متواصل صباح مساء.. فى نضاله من أجل الأمجاد والبطولات الفكرية والعقلية، فى شجاعته التى لامثيل لها وهو يؤكد ذاتيّته، وهو يرسى مكانته فى تاريخ العقول، وفى صرح الأدب العربى الرفيع، على مر الدهور، وتلاقى الحضارات والثقافات.

وأبو العلاء فى كل هذا الذى عاشه وعاناه، كان صامداً لمأساته، تشرق فى دنياه العابسة المظلمة، بوارق الآمال، حتى إن هؤلاء المؤرخين الكرام[1]، يروون عنه أنه كان فى شبابه يجالس الظرفاء، ويمضى معهم فى فنون الهزل والجد، ويلعب النّرد والشطرنج!!! ويقول فيما يقول «إنه يحمد الله على العمى، كما يحمده غيره على البصر..» ومع ذلك كان لاينسى أبداً أن يؤكد أنّ ضجعة القبر من مزاياها الحميدة «أن تأمن العين المنطفئة فى الثرى من أى عمىً أو رَمَدَ.

إذا أطفئتْ فى الثرى أعينٌ * فقد أمِنَتْ من عمىً أو رَمَدْ

ياللمأساة يا أبا العلاء وياللمأساة الملهاة فى الحياة يا أبا العلاء..

---

(١) المصادر السابقة لمعجم الأدباء، وتاريخ بغداد، ووفيات الأعيان.

لقد كان أكبر ما يميّزه، هو الاعتزاز بالنفس كشأن سائر أسرته، فانصبّ اعتزازه بنفسه على العلم والعقل والأدب، وكان محقاً فى أن يرى لنفسه الحق كل الحق أن يتبّوأ أعلى ذروة فى هذه الدنيا رغم ما واجهته هذه الدنيا منذ ولادته وصباه وشبابه وشيخوخته وكهولته . . فليكن فيلسوفاً إذن، نعم ليكن فيلسوفاً من البداية إلى النهاية، وليفجرْ فى النهاية التى عاشها من البداية، فكراً خالدًا فى تاريخ الآداب والفنون والفلسفات، ولتكن أولى خطوات حياته، فكرته الأولى الحاسمة: (هذا جناه أبى علىّ وما جَنَيْتُ على أحد).

لقد قرر من البداية أمر حياته بإرادته وحريته فى ألايتزوج حتى لايكرر ويواصل المأساة ويجنى على غيره، وهو أرحم الناس بالناس كما هو أرحم الناس بنفسه لنفسه، وليقتحم ساحة الحياة، والناس، فيلسوف الحياة، قبل أن يكون فيلسوف الموت، أو فيلسوفهما معاً وجميعاً، بكل الملابسات والمتناقضات والمتضادات، من الإيمان بالعقل، إلى عدم الإيمان به، من حيرته أمام قوة العقل إلى حيرته أمام ضعفه، ضعف هذا العقل، أمام كثير من أحاجى الكون والغيب، ثم استسلامه كثيراً مع ضراعاته الباكية، أمام القدرة الإلهية التى لايُعجزها، ما يَمْتَنِعُ على العقول، أوما تتحير

معه العقول «والله القادر على كل بعيد، لايعجزه ممتنع فى العقول، وهو مكون المعجزات، لايرد عليه عجب، ولاعجب من أمر الله[1]».

ومع ذلك فإننى أعتقد أنه اعتمد، حتى على عقله فى إنكار عقله لما هو فوق قدرته، إن هذه قضية عقلية فيما أعتقد عاشها وأدركها أبو العلاء، أبو العلاء الذى يقول:

إذا تفكّرت فكراً لايمازجُهُ فسادُ عقلٍ صحيحٍ هانَ ما صَعُبا[2].

فاحذر ولاتدع الأمور مُضاعةً
وانظر بِقلبٍ مفكّرٍ مُتبصّرِ[3]
تركتَ مصباح عقلٍ ما اهتديت به
والله أعطاك من نُور الحجا قبسا[4]
وإنك إن تستعمل العقل لم يزلْ
مَبيتُكَ فى ليل بعقلك مُشْمِسِ[5]

---

(١) المعرى: اللزوميات : ١/ ٤٥/ ٤٧/ ٦٨/ ١٦٩/ ٣٧٥.

(٢، ٣) المصدر السابق ١/ ١٠٤/ ٣٩٨، ٢/ ٢٢/ ٢٨-٣٠.

(٤، ٥) المصدر السابق ١/ ١٠٤/ ٣٩٨، ٢/ ٢٢/ ٢٨ ـ ٣٠.

وهو المعرى الحصيف الذى قال فى شيعة الإمام المعصوم ودعوى انتظار المهدى المنتظر قدومهُ وبعثه:

يرتجى القومُ أن يقوم إمام * ناطق فى الكتيبة الخرساء كَذَبَ الظُن.. لا إمام سوى العقل مشيراً فى صبحه والمساء[1] وهو أبو العلاء الصادق الذى كشف عن أدوات الطغاة من الحكام والولاة والمنافقين من العلماء! والـمُصفِّقين من الجماهير.

تَلَوْا باطــلاً وجَلَوْا صــارماً

وقالوا صدقنا فَقُلْنا نَعَمْ![2]

وهو هو المعرّى الذى أكدّ أنه لايقين، إلا فى أن نموت وتبلى أجسادنا:

جهلنا فلم نعلم على الحرص ما الذى

يـراد بنا والعلم لله ذى المن[3]

أمــا اليقــين فــلا يقــين

وإنما أقصى اجتهادى أن أظنّ وأحدسا[4]

(١، ٢) المصدر السابق من اللزوميات ١/ ٦٥.
(٣) سقط الزند (١/ ١٩٥)، اللزوميات (٢/ ٢٣).
(٤) اللزوميات (١/ ٦١).

وهو هو المعرّى الذى يدرك وحده مأساته، مأساته فى عقله، وهى مأساة أصحاب العقول جميعا:

فَهمُ الناسِ كالجهولِ، وما يظفرُ إلا بالحسرة الفُهَماءُ!

ماذا يصنع أبو العلاء إذن؟ أما وقد واجهته الدنيا من البدايات الأولى فى حياته بمأساة عينيه، فليواجهها بالازدراء والتحدّى ولْيستَهِنْ بها بإضافة قيود جديدة يختارها هو بحريته إلى قيدهِ المفروض عليه من البداية:

تأملنا الزمـان فما وجـدنا
إلى طيـب الحيـاة به سـبيلا
ذَرِالدنيا.. إذا لم تحظ منها
وكُنْ فيهـا كثيـرا أو قليـلاً
وَأصبْح واحدَ الرجلين.. إمّا مليكاً فى المعاشر أو أبيلا[1]

هذا ما يقوله للناس ولنفسه، لكنه وهو المناضل الصامد، يؤكد لنفسه أنه لن يسلم سلاحه أبدا، فهو مصرّ فى عنف وعناد على اقتحام معركة الوجود كله[2].

(١) الأبيل: الراهب الزاهد فى الدنيا. وانظر المصادر السابقة للمعرى فى اللزوميات وسقط الزند.

(٢) المصادر السابقة فى سقط الزند، واللزوميات.

ألا فى سـبيل المجد ما أنا فـاعل
عفــافٌ وإقــدامٌ وحــزمٌ ونــائلُ

وأغـدو ولو أنّ الصــباح صــوارم
وأســرِى ولو أنّ الظــلام جحـافلُ

يهم الليــالى بعض ما أنا مُضــمر
ويثقل «رَضْوىَ» دون ما أنا حـاملُ

وقد سار ذكرى فى البلاد فمن لهم
بإخفــاء شـمسٍ ضــوؤها متكاملُ

ولى منطــق يشتــاقه كلُ ســيّدٍ
ويقصـــر عن إدراكــه المتنــاولُ

يُنافسُ يومى، فىّ، أمسى، تشرفاً
وتحســد أسحـارى علىَّ الأصـائلُ

وإنى وإن كنتُ الأخيــر زمــانهُ
لآتٍ بمــا لم تســتطعه الأوائــلُ

ليس هذا فقط، بل إن أبا العلاء يصف لنا إقباله على الحياة، آخذا لنفسه منها بعض اللهو والطرب، مع فنون الهزل والجد، واللعب بالنّرد والشطرنج، نرى هذا على سبيل المثال فى سقط الزند وغيره وهو يصف فى دقة تفوق المبصرين إحدى لياليه:

رُبَّ ليل كأنه الصبح فى الحُسن

وإن كان أسـود الطيلسانِ

قد ركضنا فيه إلى اللهـو حتى

وقف النجم وقِفة الحـيران

وكأنى ما قلتُ والبـدرُ طفـل

وشباب الظلام فى العنفوان

ليلتى هـذه عروس من الزنـج

عليها قـلائد من جمـان

هَرَبَ النـوم من جفـونىَ فيها

هَرَبَ الأمْن من فؤاد الجبان

وكـأن الهـلال يهـوى الثريا

فهمـا للـوداع معـتـنقـان

وسُهُيل كَوَجْنة الحِـــبِّ فى اللّـون
وقلـــب المحـــب فى الخفقـــانِ
يُســـرع اللمح فى احمـــــرار
كما تُسرع فى اللمح مُقلةُ الغضبان
ثـم شـاب الـدجيُ فَخَاف من الهجر
فَغطَّى المشـــيب بالزعـفـــــران

ولكنه ما يلبث أن تفزعه الفواجع والمواجع، وكيف يـ
وهو لاينسى أن يفتتح هذه القصيدة السالفة:
(ليلة لهو) بقولها الحزين:

علِّلانى. . فإنّ بِيض الأمانى
فَنِيَتْ. . والظلام ليس بفانِ
كم أردْنا ذاك الزمـــانَ بمدحٍ
فَشُغِلْنا بذمّ ذاك الزمـــانِ!

ويقول فى استسلام مرير[1]:

أرى العنقاءَ تكـبرُ أن تُصادا
فعانــدْ من تطيق له عنـادا

(١) المصادر السابقة للمعرى فى اللزوميات وسقط الزند.

ومانَهْنَهْتُ عن طلب. . ولكن
هى الأيام لا تُعطى قيـــادا
نلــــوم على تبلُّدها قُلُوبــاً
تكابدُ من معيشتها جهـــادا
إذا ما النار لم تطعم ضرامـــا
فَأَوْشكْ أن تَمرّ بها رمـــادا
ولّما أن تجهَّـمَ لىُ مـــرادى
جَرَيْتُ مع الزمـان كما أرادا
وَهَوَّنْتُ الخطـوب علىَّ حتى
كأنىّ صــرتُ أمنْحَهُا ودادا
أأُنْكــرها ومنبتها فـــؤادى؟
وكيف تُنَكَّرُ الأرضُ القتادا؟

وتصيب أبا العلاء لطمة أخرى قاسية بموت أبيه، الذى فَقَد فيه، أباً رحيماً، ومعلماً صديقاً، عام ٣٩٥هـ، حيث قال عنه فى قصيدته النونية الرائعة. . الطويلة الباكية:

نقمتُ الرضى حتى على ضاحِك المزُنِ
فلا جادنى إلا عبُوس من الدجـــن

فليت فمى إنْ شـــام ســـنّى بَسّمــاً
فم الطعنـــة النجـــلاء تدمـــى بلاسنّ

أبى . . حكمتْ فيه الليالى . . ولم تزلْ
رمـــاحُ المنايا قـــادرات على الطعـــن

قَضَى طاهر الجثمان والنفس والكَرَى
وسُهدِ الُمنى والجيب والذيـــل والردن

فياليت شِعـــرى هل يخف وَقَـــارُهُ
إذا صار «أحُدٌ»[1] فى القيامة كالعِهنِ؟

وهـــل يَرِدُ الحـــــوض الروىّ مُبادِراً
مع الناس . . أم يأبى الزحام فَيَستأنى؟

جَهِلْنا فلم نَعْلَمْ على الحِرْصِ ما الذى
يُـــراد بنا . . والعلم لله ذى المـــــنَّ

إذا غُيِّب المـــــرء استُسِرَّ حـــديثُـــــهُ
ولم تُخبر الأفكـــارُ عنهُ بما يُغـــنى

---

(١) يقصد جبل احد يوم القيامة وقد صار (مثله مثل الجبال) كالِعهن المنفوش كما يقول القرآن.

فيـــاقبرُ . . واهٍ من تُـــرابـــك لَيِّناً

عليـــه وآهِ مـــن جـــنادلك الخشـــنِ

سأبكى إذا غَنَىَّ ابن ورقاءَ . . بهجة

وإن كان ما يَعنيه ضدّ الذى أعنيِ !!

وأحملُ فيك الحُزن حياً فإنْ أمـــت

وألقَكَ لم أسْلُكُ طريقاً الى الحزُنِ[1]

ويكاد أبو العلاء، من أثر فجيعته فى فقد أبيه، أن يلقى سلاحه ويسرع الى مَحْبسه وسجنه، لكنه ما يلبث صموده وعنادُه وتمرُّسه بالآفات والبلايا، أن يتحرك ليفكر فى الهجرة إلى بغداد سنة ٣٩٨هـ وعند نهايتها، بعد ثلاثة أعوام من وفاة أبيه . .

ويتلمس العزاء فى حياة أمه التى يذهب إليها ليستأذنها، واجداً فيها العوض عمن فقد . . وتدرك الأم إصراره، فتأذن له، بعد أن أيقنْت أنه جاد فى عزمه، ويمضى أبو العلاء ليقنع نفسه بأنه قادر على مواصلة النضال، لكنه عند وداعه لأمه، ينفجر بكاء وشجناً وأسى، كأنما حدّثة قلبه البصير بأنه فراق ليس بعدة لقاء . .

(١) المصدر السابق والقصيدة طويلة رائعة جدا.

ونسمع صوت أبى العلاء وكله شجن، حين كانت تدب خطواته على مشارف العراقِ فى بغداد:

وأذهل.. أنى بالعراق على شفا
زرى الأمانى لا أنيسٌ، ولا مـــالُ
مُقلّ من الأهلِيْن، مالٍ وأســـرة
كَفَى حَزَناً... بَيْنٌ مشتٌ وإقلالُ
سيطلبنى حظى الذى لو طلبتـــهُ
لما زادَ، والدنيا حظوظ وإقبال![1]

ويشارك حظه العاثر (إن صحت هذه التداعيات عليه) أن يكون يوم وصوله إلى بغداد، موت الشريف الطاهر، والد الشريفين الرضى والمرتضى، ويمضى أبو العلاء ليعزى صديقيه الحميمين الشريف الرضىّ، والشريف المرتضى العلويّيْنْ، ونرى رواية غريبة[2] تقول فيما تقول، إن أبا العلاء، حين اقتحم الحشد الكبير، كان قد تخطى أحد الناس عن غير قصد، فقال له فى غضب ولم يعرفه: إلى أين يا كلب؟ فقال المعرى فى هدوء:

(١) المصادر السابقة للمعرى.
(٢) د. عائشة عن الرحمن: المعرى المصدر السابقة (١٠٠).

الكلب هو من لايعرف للكلب سبعين اسما! ثم جلس فى الحال فى أخريات المجلس الكبير، إلى أن قام الشعراء وأنشدوا مراثيهم، وعندها وقف أبو العلاء فى النهاية وارتجل قصيدته فى رثاء الفقيد وكان مطلعها:

أودى فليت الحادثات كفاف..

وعندها يهرع إليه الشريفان الرضى والمرتضى ليحّيياه ويشكراه ويستقبلاه.

ويمضى فى بغداد عامين اثنين فقط، أقر له سادة بغداد وعلماؤها بأنه أعجوبة الزمان، ورغم أن أبا العلاء أكد ذاتيته حين «كان[1] يوما بمجلس المرتضى وقد جاء ذكر أبى الطيب المتنبى وكان الشريف المرتضى لايحب المتنبى، فتنقصه وجعل يتتبع عيوبه فما كان من أبى العلاء [وقد وضع كتاباً خاصا عن المتنبى وهو مُعجز أحمد] إلا أن اعترضه بكل شجاعة وثقة وصدق وقال:

لو لم يكن للمتنبى من الشعر إلا قصيدته:

«لك يا مَنَازلُ فى القلوب منازل»

---

(١) ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار.

لكفاه فضلاً، وهنا غضب السيد المرتضى وأمر بطرد المعرى من مجلسه فى مهانة، وقال (المرتضى): أتدرون أى شىء أراد (الأعمى) بذكر هذه القصيدة؟ فإن للمتنبى الكثير لكن المعرى أراد قوله:

وإذا أتتك مذمتى من ناقصٍ فهى الشهادة لى بأنى كامل.

وكانت صدمة أبى العلاء فى بغداد عنيفة حين تركها عام ٤٠٠هـ ورجع يائسا، سيئ الظن بها وبالناس، وبزحام النفاق، وادعاء العلماء، وجهالة الرؤساء، وزادت فجيعته حين وافاه فى طرق عودته إلى معرة النعمان من جديد نبأ وفاة أمه، فوقع النبأ فى نفسه وقوع الصاعقة.

مَضَتْ وقد اكتهلتُ فخلتُ أنىَّ
رضيع ما بلغت مَدَى الفِطام
سألتُ متى اللقاء.. فقيل حتَّى
يقوم الهامدون من الرجـــام
فَلَيْت أَذين يـــوم الحشـــر نادى
فأجْهشتِ الرمامُ إلى الرمـام

واعتكف أبو العلاء فى داره، وقرر قراره الأخير فى أن تكون داره قبراً له، قبل رحيله إلى مقره الأخير، وهناك أملى رسالة إلى خالة: أبى القاسم علىّ، بحلب وحدد فيها يوم الحشر للسلوان موعدًا أخيراً.. «كتابى إليك أطال الله بقاء سيدى.. من مرة النعمان، ولكل نبأ مستقر، وَرَدْتُها بعد سآمة ورود كعب بن مامة، فإنا لله وإنا إليه راجعون..» وصلى الله على سيدنا محمد وعترته صلاة يثقل بها لسانى حزنا وترجع فى المحشر قدرا ووزنا.

«رَحمك الله من ساكنة رَمْس، أصبحت حياتك كأمس..
فإن ينقطع منك الرجاء فإنه سيبقى عليك الحزن مابقى الدهر[1]
ونراه- فى يأس مرير- يتمنى الموت فيقول فى لزومياته[2] :

ربِّ متى أرحل عن هذه الدنيا فإنى أطلت فيها المقامْ

لم أدر ما نَجْمى ولكنه
فى النحس مذ كان - جرى واستقام

والعيش سُقْمٌ للفتى منصب
والموت يأتى بِشفاء السقَامْ

ولزم داره حوالى نصف قرن من الزمان لم يغادره إلا مرة

(١-٢) المصادر السابقة اللزوميات والفصول.

واحدة حين لجأ إليه الناس مستغيثين به، كان هذا عندما حاصَرَ صالح بن مرادس أحد قواد حلب، مدينة المعرة والح فى حصارها حتى سخط أهلها وفروا إلى أبى العلاء ليكون سفيرهم إلى صالح بن مرداس، فلما ذهب إليه بقضيتهم شفيعاً لهم أجاب صالح:

قد وهبتها لك يا أبا العلاء (يقصد المدينة).

الغريب فى الأمر هذا أن أبا العلاء لم تَفُته سخريته المريرة فى هذا الموقف فصوره فى أبيات ارتجلها فى الحال أمام الشهود، وفيها يقول:

تّغيبتُ فى منزلى برهةً
سَتيرَ العيوب فقيد الحَسَدْ
فلما انطوى العُمر إلا الأقل
وحان لروحى فراقُ الجَسَدْ
بعثتُ سفيراً إلى صالحٍ
وذاك من القوم رأىٌ فَسَدْ
فَيَسْمَعُ مِّنىَ سَجْعَ الحمام
وأسمعُ منه زئير الأَسَدْ
فلا يُعْجَبَنِّىَ هذا النفاق
فكم نفّقتْ محنة ما كَسَدَ

وعايش المَوت راضياً فى رحلته حتى النهاية، وكان قد قرر الاعتصام بمبدأ الرحمة، فى عدم الزواج، حتى لايكرر جناية الآباء على الأبناء، وفى رفضه المطلق لأكل الحيوان والطير، وما يخرج عنها، من بيض ولبن، قانعاً بما يمسك رَمَقَهَ مما تُنبت الأرض، ومن الثياب ما يستره، ومن الفراش ما يقّربه من الأرض، حتى إنه فى مرضه الأخير، عندما وصَفوا له أن يأكل الفَرُّوج الصغير كعلاج لهِ، رفض وقال مخاطباً له:

استضعفوك فَوَصَفُوك وَذَبَحوك!!! هلا جاءوا بِشبل الأسد؟ وكرر وصيته فى أن يكتبوا على قبره:

«هذا جناه أبى علىَّ وما جنيتُ على أحد»

كان ذلك فى أوائل شهر ربيع الأول سنة ٤٤٩هـ وحين وورى التراب وقف على قبره أربعة وثمانون شاعراً يرثونه، كان فى مقدمتهم تلميذه أبو الحسن علىّ بن همام الذى قال فيما قال مخاطبا إياه...

إن كنتَ لم تُرق الدمــاَءَ زهــادةً

فلقد أَرَقْتَ اليوم من جَفْنى دما

هكذا مضى أبو العلاء، ولعله كان يردد فيما بينه وبين نفسه

كثيراً أيام مرضه الأخير بيته الشهير:

لاتظلموا الموتى وإن طال المدَىَ

إنى أخاف عليكمو أن تلتقوا!

ومن هنا نقف وقفة قصيرة فى رحلة أبى العلاء، في حياته ودنياه، وفلسفته للموت فى الحياة، وفلسفته فى الحياة قبل وبعد الموت، قبل أن نمضى معه، فى رحلته التى اصطنعها عامداً، وهو يعبر جسر الدنيا الى ضفاف الآخرة، مُصَاحِباً الأدباء، والشعراء والعلماء والمفكرين فى ساحات النعيم والجحيم، مُلقيا فى نار العذاب، من كُنّا نحسبهم من أهل الجنان، وحاشداً فى جنات النعيم من كنا نظنهم من أهل الجحيم، جزءا وفاقا لما رآه فى فكره عن أولئك وهؤلاء.. بكل شجاعة وعبقرية واقتدار.

بملاحظة[1] تراث المعرى نجد أنه كتب ثلاثة دواوين: سقط الزند، ومعظمه فى شبابه إلا القليل، والدرعيات وهو ملحق لسقط الزند، ثم اللزوميات، وهو أخطر دواوينه شأنا لأنه يمثل أدق ناحية فى فلسفته العقلية التى تؤرخ لتطور أفكاره من الشك،

(١) انظر كتابنا: الفكر الاسلامى والفلسفات المعارضة فى القديم والحديث ط ٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب: الفصل السادس بأكمله حول المعرى والخيام وآثار حركة الباطنية وتياراتها فى الفكر الإسلامى والحقل الأدبى.

والحيرة، واللاإرادية، من الإيمان بالعقل، إلى عدم اليقين به، من الإيمان بالجبريّة، إلى الضراعة لله والاستسلام لمشيئته، من توكيده لإرادته في ممارسته للموت فى الحياة، برفض الزواج ومتعة الحياة، من طعام وشراب ولباس، واعتزال للناس، من آرائه فى اختلاف المذاهب والعقائد، من رفضه للانتحار فى صورته المعروفة، ولجوئه إليه فى صورة رفض الحياة ذاتها بكل مافيها مما أراده الله للناس من متاع الحياة فى الزواج والنسل والاستمتاع بما فيها من نعم، من إصراره على أن يبقى واعياً تمام الوعى، فلا يصنع مثلاً ما صنعه الخيّام «عمر الخيام ت٥١٧هـ» من بعده حين كان يحيا ويعيش أفكاره وآراءه فيفزع منها كثيراً، ولايجد ملجأ ينسيه إلا أن تستغرقه كئوس الخمر فينسى عقله أو ووعيه لحظات أو ساعات ما يلبث بعدها الا قليلاً، ثم يعود إلى وعيه وصحوه وعقله، وفكره الثائر، فَيُغشّيه ويخدّره بكئوس جديدة أكثر تَعتُّقاً وتأثيراً . .

أما تراث المعرى النثرى فهو رسالة الملائكة ثم رسالة الغفران، وهى الأخطر شأناً، وقد كتبها عام ٤٢٣هـ وكان فى سن الستّين. وإذا كان - كما نرى - قد صور مأساته بالنسبة لمأساة الحياة الملهاة، فى غير الغفران، فقد صورّها محتجاً ساخراً

إلى أقصى حدود السخرية، حين نَصَبَ نفسه، بكل اقتدار وإبداع، قاضياً فى الدار الآخرة فى رسالة الغفران، فالمعرّى فى هذه الرسالة، قد صورّ كل ما حُرم منه فى حياته فى سخرية شديدة، حين عرض لنا مشاهد اللذائذ والمتع: اللحوم والخمور والنساء مصوَّرة مشخصة، وحين عرض لنا، مشاهد الأحلام التى صنعتها سِيَاط العُزلة والحرمان، كما صورّ جَنَّةَ السجين المكبوت، فى حركات الصيد، والغناء، والرقص، والدعابة، والصياح، والعربدة، ومشاهد الانفعالات من تعجُّب، وحنين، وإشفاق، وحَذَر، وإغراء، وقسوة، وذُعر، وغيظ، وخصام، وتنابز، وتعريض وشماتة. . . والذى لاشك فيه أن الرحمة التى دعا اليها هى السبب فى تصويره للعذاب والنعيم، فى صور بسيطة للغاية، لوقارناها بمشاهد وصُور «دانتى» فى الكوميديا الإلهية!

ويظهر من ذلك - كما ذكرنا- إدخاله النار أمثال بشار بن بُرد وإدخاله الجنة كثيرا من أهل الفترة (السابقة على الإسلام) أمثال النابغة الذبيانى وزهير بن أبى سلمى[١].

إن الكلمة الكبرى التى حَسَمَ بها أبو العلاء العملاق، كَل آرائه وقضاياه، وكانت مُدخلا ومُفتتحا لفلسفته ومذهبه فى الحياة

(١) المصدر السابق.

والموت والمصير، هى جناية الوجود ذاته، تلك الجناية التى عاشتها وارتكبتها البشرية على رغمها- فى رأيه- والتى كان منها وجوده هو أيضاً، ذلك الوجود الذى جَنَى عليه «أبوه» وهو لهذا قد قرر بلا رجفة ولاتردد ألايجنى على أحد..

« هذا جناة أبى علىّ* وماجنيت على أحد».

والسؤال الذى نسأله، رغم هذه الجبرية التى يؤمن بها المعرى: هل كانت ممارسته للموت فى الحياة أمراً لاصلة له بإرادته؟ وهل كان ما أراده لنفسه من حرمان، اختياراً حقّاً؟ أم جبراً قضى عليه به؟ الواقع الذى أراه، أنه كانت للمعّرى إرادة، وإرادة صارمة، رغم أنه يرى أن ذلك كان قضاءً أيضاً ولاحيلة له فيه..

ماذا نريد أن نقول؟ نريد أن نقول: إنّ المعرّى لم يهجر الحياة، لأنه كان أعمى، ولم يتزوج لأنه كان عاجزاً عن الزواج، ولو شاء لما حرّم على نفسه طيبات ما أحلّ الله، بل لو شاء أن ينهز مع الغواة بِدَلْوِهم لفعل، فما حَاَل العمى أو الصمم أو الكساح بين أحدٍ، وما يشتهى، وفقاً لأقوى ما فى طبيعته الغريزية.. وليس كل من تربّى مثل المعرّى- فى بيت من بيوتات الدين والعلم والوجاهة، بِصادِفٍ عن الملذات والشهوات أو

بعاكف على الصوامع والمساجد، والمعابد، وليس كل عربِى تمنعه أصالة العرض، أن يعاقر الخمر، ويستطيب حَيَاَة المجون، فإن امرأ القيس، وطرفة بن العبد، والأعشى وغيرهم (وحتى أبو العتاهية الزاهد) أو مُدعى الزهد والتصوف، كل أولئك وغيرهم عَرَبٌ فى الصميم من العروبة ومجُونُهُمْ أو تهالكم على الملذّات، كمجون أو تهالك غيرهم من الشعراء من أبناء الأمم الأخرى فى عهود الوثنيات وعهود الأديان السماوية على السواء، وليس كل أعمى عازفاً عن مواطن ومواقع الشبهات، فإن الشاعر «بشار بن برد» [الذى انتقم منه المعرى فأدخله فى رسالة الغفران قاع الجحيم] قد وُلد مثل المعرى، وكان أسبق وأسرع إلى الشهوات من سائر المبصرين، وليس كل ضعاف البنية مُعرضين أو بعيدين عن حظوظ الأشداء، فربما كان ضعف البنية سبباً من أسباب الإفراط والتهالك على المُتع والشهوات والملذات.

أمر آخر، لقد كان من الممكن أن يكون المعرىّ كعمر الخيام الذى تفلسف مثله وعايش كثيراً جدًّا من آرائه وأفكاره، أقول: كان من الممكن أن يلجأ المعرّى إلى الخمر، كالخيام، ليطفئ فيها قليلاً أو كثيراً من سَوْرة لا أدريَّته أو شكوكه الطاغية أو حيرته العارمة أو قلقه العقلى الرهيب، لكن أبا العلاء هو أبو العلاء

الرافض لغير الوعى الكامل والعقل الواعى لما يقول ويرى ويسلك بكل إرادته، وعلى الرغم من ثورته على العقل فى كثير من آرائه فإنه لم يكفر به - كما نعتقد- ولم يفقد ذرةً من إيمانه بهذا العقل، ولهذا أصرّ على الصحو القاتل، فلم يُغْرقه (كالخيام) فى جرعة خمر أو «برميل» خمر، ولم يُغرقه فى استغراقات صوفية متطرفة كالحلاج مثلاً، وقد عاش المعرى قلقاً يكاد يفوق فى عنفه قَلَقَ الوجوديين الكبار[1] وكان حين يتأزم به الموقف يعلن لادريته، لا كمذهب قائم، بل كوقفة مؤقتة، ريثما يعود إلى جميع شتات قواه الواعية، ليضرب بها فى حقل جديد من التساؤلات التى لاتنتهى، ولاتصل إلى جواب أو لاتصل إلى يقين من جواب سوى أن يُعلن أبو العلاء ضراعته لله، أو مستسلما أحياناً، استسلام المتمرد العاجز، عن فهم حكمة الله، أو مستسلماً أحياناً، استسلام المطمئنّ إلى رحمة الله، وبخاصة عندما كان يحسّ دائما بقرب رحيله إلى ساحة الله وعندما يحس بالرهبة من قدومه على ساحة الجبّار العادل (الرحيم).

(١) هذه الصورة يمكن إدراكها فى فكرة الفارق بين العقل البصير كعقل المعرى والعقل الأعمى كعقل غيره من أصحاب المذاهب الأخرى ارتابية أو غير ارتيابيه: أنظر البيركامى: أسطورة سيزيف ٣-١٠ ترجمة أنيس زكى بيروت وانظر د. عبدالغفار مكاوى: البيركامى (٥-١٠) دار المعارف.

لاشك عندى أن أبا العلاء العملاق، قد أعلن وقرّر انتحار ذاته فى هُروبه المطلق من الحياة، وسلوكه الزاهد لسائر متع الحياة، لكن يظهر أنه ساورته فكرة التخلص من الحياة بالانتحار السريع الحاسم.. فهو حين يُعلن فى وضوح:

مهجــتى ضـدٌّ يحــاربنى

أنا منّى كيف أحــترس؟

يعود بعد انفجار ثورته وغضبَه على نفسه، ليفكر لحظات يائسة أحياناً، فى التخلص منها بالانتحار السريع، لكنه يعود بعد أناة، أو حُبٍّ كامنٍ للحياة فيقول فيما يقول: «قد كدتُ ألْحقُ برَهْط العدم[1] من غير ما أسف ولاندم.. ولكنما أرهب قُدومى على الجبار» ما الحل إذن؟ الحل هو التفكير، فيما فكر فيه وعاشه رفيقُه فى فلسفته عمر الخيام فكراً ووجداناً وسلوكاً، الحل هو أن يلجأ إلى الخمر لتنسيه أحيانا سَوْرَةَ ثَوْرته أو لتطفى كثيراً من تمرّده.

إن شَيْخَنَا العقاد[1] يرى أنه لايُستبعد أن يكون المعرىّ قد جرّب أن يَتَذَوق بعض الخمر فى عُزلته، وقد يكون شربها أو

(١) عباس محمود العقاد: رجعة أبى العلاء (٣٠/ ٣٤) وانظر المازنى إبراهيم عبدالقادر المازنى: حصاد الهشيم وخيوط العنكبوت من خلال حديثه عن ابن الرومى والمتنبى.

شرب قليلاً منها، فى بعض الأديرة، التى اعترف بأنه كان يذهب إليها أحيانا فى بعض دراساته مع العلماء من الرهبان. . بديل قوله(المعرى):

فلا تَشْــربَنْها ما حييتَ وإنْ تَمِـلْ

إلى الغـىِّ فاشــربْها بغير نديـم

ويمكن أن نرى رغبة كامنة فى أعماق نفس أبى العلاء، فى ظهور من يستطيع (فقط) من الأنبياء أن يُفتى بتحليها، إنها أمنية ولاشك جالت فى نفس المعرى الذى يقول فى حالة شك، وفى حالة إصرارٍ معا على عقله:

تمنيتُ أنّ الخمر حلّت لنشــوةٍ

تُجَهلُنىِ. . كيف اطمأنّتْ بَى الحال!

أيأتى نبى يجعل الخمــر طلقةً

فتحمل شيئاً من همــومى وأحـزانى

لكنه يعود سريعا، ، فيعلن حرصه وتمسكه بوعى عقله الذى ليس هناك أسمى ولا أفضل منه، فيقول فيما يقول فى نفس القصيدة:

لا أشرب الراح أشرى طيب نشوتها

بالعقل أفضــل أنصـــارى وأعـوانى

وإذن . . فلْيضربْ أبو العلاء المعرّى بعقله الواعى كل شئ لا يقبله ولا يعقله فى نفسه أو فيما حوله أو فيمن حوله من قريب أو بعيد، ورغم أنه قد عزل نفسه تماماً، فإنه بعقله لم ينعزل عن الحياة والأحياء، ونظر إلى عصره وحكام عصره وعلماء عصره وساسة عصره، فلم ير إلا الضعف والجهل والظلم والفساد والضياع.

إن العراق وإن الشام من زَمَنٍ

صفران . . ما بهما للملك سلطانُ

ساسَ الأنامَ شياطينٌ مسلطة

فى كل مصرٍ من الوالين شيطانُ

إلى أين إذن؟ إلى الحجاز؟ إلى الشام؟ إلى اليمن؟

أما الحجاز فما يُرجى المقام به

لأنه بالحرار الخمس مُحْتَجَزُ

والشام فيه وقود الحرب مشتعل

يُشابه القوم شُدَّتْ مِنْهُمُو الحجز

إن الحجاز عن الخيرات محتجـــز

وما تهامــــة إلا معـــدن التُّهــــمِ

والشام شؤم وليس اليمن فى يَمَنٍ

«وَيَثربُ» الآن تَثْريب على الفُهُمِ

ثم ماذا يا أبا العلاء؟ لاخير على الإطلاق، فالأمراء يَسُوسون الأمور بغير عقل، وقد ظلموا الرعية بينما هم جاءوا لخدمتها ورعايتها:

مُلَّ المقام.. فكم أعاشر أمــةً

أمـرت بغير صلاحها أمراؤها!

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها

وَعَدَوْا مَصَالحها وهم أجراؤهُا

لكن ما حقيقة هؤلاء الحكام والولاة يا أبا العلاء؟

يَسُوسُون الأمــور بغير عقــل

فينفـذ رأيُهـم ويقــال سَاسَـهْ

فَـأُفٍّ من الحــيـاةِ وأفٍّ منّى

ومــن زمـن رئاستُه خَسَاســه(١)

ومن هؤلاء المسئولين من الرؤساء أو العلماء كثير من المنافقين الضالين المضللين الذين يقولون مالايفعلون.

طلب الخسائس، وارتقى فى منبرٍ

يصف الحســابَ لأمــةٍ ليُهولَهاَ

ويكــون غــير مصــدّق بقيامةٍ

أَمْسَى يُمثّلُ فى النفوس ذهولها(٢)

ويتمرد عقل المعرى فيقول فى فترة من أعنف ثوراته:

(١، ٢) المعرى: اللزوميات١/ ٢٥٢/ ٤٢٦/ ٤٧٦، ج٢/ ١٧٧- ١٨٠/ ٢٥٢ وانظر الفصول والغايات ٥١/ ٢٠ ما أورده ياقوت الحموى: معجم الأدباء عن المعرى ١/ ١٦٢/ ٢١٦.

إذا قلتُ المحـال رفعتُ صـوتى

وإن قلتُ اليقين أطَلَتُ هَمْسى[1]

ثم يكشف عما وراء الهمس فيقول فيما يقول:[2]

هَفَت الحنيفةُ والنصارى ما اهتَدَت

ويهـودُ ضلّتْ والمجـوسُ مضلّلة

اثنان أهلُ الأرضِ ذو دين بلا عقلٍ

وآخـر ديّـن لا عقـل لـه

وقد روى ياقوت الحموى فى معجم الأدباء، وابن الجوزى فى المنتظم أبياتاً ساخطة نسبها للمعرى، لكننا لم نجدها فى دواوينه، ومنها ما رواه ياقوت[3] عنه فى حكمه على أصالة الشر والنقيصة والخطيئة فى الخلقة البشرية:

إذا ما ذكـرنا آدمـاً وفعـاله

وتزويـج بنتيـه لأبنيـه فى الُّدنـاَ

علمنا بأن الخلق من أصل ريبةٍ

وأن جميع الناس من عُنْصُرِ الزَّنا!

(١، ٢) المعرى: اللزوميات١/ ٢٥٢/ ٤٢٦/ ٤٧٦، ج٢/ ١٧٧- ١٨٠/ ٢٥٢ وانظر الفصول والغايات ٥١/ ٢٠ ما أورده ياقوت الحموى: معجم الأدباء عن المعرى ١/ ١٦٢/ ٢١٦.

(٣) المصدر السابقة لياقوت وانظر ابن الجوزى: المنتظم ٧/ ١٥٦- ١٦٠.

كما روى ابن الجوزى[1] هذه الأبيات منسوبة إلى المعرى وهو يخاطب ربّه معتذرا عن أسباب زندقته!

إذا كان لايحظى برزقـك عـاقـل

وترزق مجـنوناً وتـرزق أحَـمقْـاً

فلاذنب يارب السـماء على أمرئ

رأى منك ما لا يشـتهى فَتَزَنْدقاً

وينطلق أبو العلاء فيؤكد إيمانه بالجبرية واضحةً فى كل شئ:

ما باختيارىَ ميلادى ولاهَرمى

ولاحياتى فهل لى بعدُ تخيير[2]؟

وقد التقى معه عُمر الخيام من بعده فى نفس المعنى على نفس الصراط:

واضطرأرا قد جئت هذِى الديارا

وسأضطرُ للرحـيـل اضطــرارا[3]

بل إن الخيام يؤكد هذه الجبرية فى أن علم الله القديم بأنه (الخيام) سيشرب الخمر، قضاء إلهى وإرادة إلهية:

(١، ٢) المصدر السابق لابن الجوزى.

(٣) اللزوميات ١/ ٢٨٦، ٢/ ٢٢ وانظر رباعيات الخيام.

يعلم الله بشربى هذه الصهباء قِدْماَ فإذا لم أحْسُها لم يكُ
علمُ الله علْما!

وإذا كان المعرى يقول فى نفس المقام الجبرى[1].

ونحن فى عالم صيغتْ أوائله على الفساد فَغَىٌّ قولنا فَسَدوا

فان الخيام[2] يؤكد بعده نفس الرأى فى قوله:

وَيْلتى مذ جَلَبُوا فى قالـب الخِلقة طِينى

كم أثاروا الشـر فى هذا التراب المستكين

ليسَ فى مقدرتى أنْ أغتدى أفضل منى

هكذا من مصهر التكوين كانوا أفرغونى

وإذا قال المعرى ودعا إلى ستر الأسرار خوف المهالك:

أصْدُق إلى أن تظنّ الصدق مِهْلكةً

وبعـد ذلك. . فاقعُدْ كـاذباً وقـمِ

إذا قلتُ المحـالَ رفعـتُ صـوتى

وإن قلـت اليقين أطلـتُ هَمسْـىِ

(١، ٢) المصدر السابقة للمعرى والخيام.

فإن الخيام يلحق بركبه قائلاً على نفس الصراط:

فُصِّلَتْ أسرار دنياكم لدينا فى الدفاترْ
قَد وَعَيْناهاَ.. ففى النشر وَبَالٌ ومخاطِرْ
لم نجد فى الناس من يعقل من أهل البصائرْ
فغدًا يعجزنا إظهار ما تخفى الضمائر
رُبَّ سِرٍّ لستُ أستطيعُ له فى الخلق فَضْحاَ
فاستمع موجز قولى- لاتَسَلْنىِ عنه شَرْحاَ
آه من سِّرطواه القلب لايَقْبَلُ بَوْحاَ

وحين يدعو أبو العلاء البشر جميعاً إلى الرحمة حتى بالتراب الذى نمشى عليه، لأنه تراب أجساد أجدادنا فى دورة لاتنتهى، حين يقول المعرى:

سِرْ إن استطعت فى الهواء رويداً
لا اختيالاً على رفات العبادِ
خفَّف الوطءَ ما أظن أديم الـ
أرض إلا من هذه الأجساد[1]

(١) المصادر السابقة للمعرى والخيام.

فإن الخيام يشدو معه فى أسّى وجزع وإشفاق حين يقول:

فأمْشِ الهوينى إن هــذا الثرى

من أعــين ساحــرة الإحورار![1]

وإذا تحدث المعرى عن النفع المادى من تراب أجساد الأجداد، الذى يمكن أن يصبح ويصير أساساً للجدران والحوائط، بل إن مَفَاصِل البانى التى صارت تراباً، سوف تدخل فى يوم من الأيام طلاء للسقيفة والجدار.. إذا تحدث المعرى عن ذلك فقال:

وكم من رجال جُسُومهم عفـر

تُبْنَى بهم أو عليهمُو الجُـدُرُ![2]

لعَـل مَفَاصِـلَ البنــاء تُضْـحيِ

طـــلاء للســـقيفة والجـــدار!

فإن الخيام يلحق به فيقول فى صورة شعرية درامية نسمع منها حواراً فى معمل الخزَفَ، صادراً عن الأوانى والكئوس العذراء، التى تئن عَبْرَ الطين المجبول المحروق...

(١، ٢) المصادر السابقة للمعرى والخيام.

أمس أبصرت جارَنا الخزّافا

يَجْبَلُ الطين كيف شاء اعتسافا

وكأنى سمعتُ بين يديه

صوت مظلومة تَشكَّىَ لديهِ

آه رفقاً فأنت طين وماءْ

أيها المَرْءُ.. لاتَسُمْني العَذابا[1]

وإذا كانت الحياة فى رأى المعرىّ أشبه بُجثّةٍ تنبح حولها الكلاب، النّوابح، وأن الآكلين منها هم الخاسرون، والزاهدون الهاربون هم الرابحون، فما الداعى إلى الطمع فُى دار كلها شتات، كل عامر فيها إلى خراب، وكل آت إلى إياب وكل حى إلى ممات، كما يقول معه على نفس الإيقاع والنهج عمر الخيام.

يقول المعرى:

أصاحِ هى الدنيا تشابه ميتةً

ونحنُ حواليها الكلاب النوابحُ

---

(١) المصادر السابقة للمعرى والخيام.

فمن ظلّ منها آكـلاً فهو خاســـر

ومن عـاــد منها ساغباً فهو رابحُ

فما تـريـدُ بـدارٍ لســـتَ مالكهـا

تقيم فيها قليـلاً ثـم تنـصـــرف؟

ويقول الخيام:

كالعصافير وقعنا فى أحابيل الزمان

مُجْهَدى القلب حيارى مالنا فيها يدان!

حَوْلَنَاَ دائرة لاباب أو سَطْح لها

لم نجئ فيها ولم نذهبْ وفاقاً للأمانى.

إن يكن حقا مماتى فأَجِبنْىِ ما حياتى؟

ولم الأطماع فى دار الرزايا والشتات؟

منزل لايترك النازلُ فيه وادعاً

لِمَ يَرضْى فَيه أن يَبْغيِ.. ويهتم لآت؟

وإذا كان المعرى قد أعلن ونفذ تطليقه للحياة بكل متعها وأكد فى رفضه للزواج أنه كان خيراً لنا ألا نكون وألا يكون الوجود حين قال:

خير لآدم والخلق الذى خرجوا
من ظهره أن يكونوا قبلما خُلقوا

هــذا جــناه أبــى عــلــىّ
ومــا جــنيتُ عــلى أحــد

فقد لحق بركبه رفيقه الخيام فقال فيما قال:

إنما الراحة فى الدنيا ولذّاتُ الصفاءْ
خُلقتْ للمطلق الضارب فى كل فضاءْ
فإذا ما أصبح فرد مستريح البال زوجاً
فَلَقَدْ بّدل من راحته كل الشقاء[١]

وإذا كان أبو العلاء قد تجّرأ فقال فى إحدى شطحاته الجبرية العقلية:

---

(١) المصادر السابقة للمعرى والخيام.

إن كان مَن فعل الكبائرِ مُجْبَراً   فَعِقـابُهُ ظلـم على مايَفْعَلُ

فإن الخيام يمضى فى ركبه على طريقته ويقول:

عندما صَوَّرَنا البارئ من هذا الترابْ
كان يدرى ما سنأتى من أثامٍ وصوابْ
إننا لم نَجِنْ ذنباً ليس من تقديرهِ
فلم التعذيبُ فى النار إذنْ يوم الَحسَابْ(1) ؟

وعندما يتلمس المعرى طريق النور فيستسلم ضارعاً طالباً عفو الله فإنه يقول عن ثقة عظمى برحمة الله له، حتى ولو أدخله النار وأبقاه فيها ألف سنة!.

إنْ أدخل النار. فلِى خـالقٌ   يحملُ عنى مُثقـلات العَـذَابْ
يَقْـدِرُ أن يُدخلنـى جنّـةً   فيها تَـرَآمى بالمياه العِـذابْ
فلْيَفْعَل الدهـر ما يهمّ بـه   إن ظُنـونـى بخالقـى حَسَـنَه
لاتـيـأسُ النفـس من تَفَضّلِهِ   ولو أقامت فى النار ألفَ سَنَهْ(2)

(1، 2) المصادر السابقة للمعرى والخيام.

ونقول إذا كان أبو العلاء يمضى فى ضراعته هادئاً مُستكيناً وَقُوراً كعادته، فإن الخيام يقتحم ساحة العفو الإلهى فى حوار مع الله سبحانه، فى صورة أشبه بالاحتجاج، وفى تفاؤلية لاتغيب عن أمثال الخيام حين يقول:

ربِّ قل لى مَنْ هو المعصوم من إثم وعيب؟
رب كيف اسْطَاعَ أن يحيا امرؤ من غير ذَنب؟
ليس جُوداً منك أن تُعطينى عن حَسَنَاتِي
إنما جُودك أن تَعْفُو عن سيئاتى
إننى يارب عبد مذنب أين رضاؤك؟
وفؤادى كالدياجى ظلم أين ضياؤك؟
وإذا أعطيتنا الجنة بالطاعة منَّا
كان هذا منكَ بَيْعاً. . أين ياربِّ عطاؤك[1]؟

فإذا مضينا مع أبى العلاء فى رحلته إلى الدار الآخرة منذ بدايات حياته الأولى حتى اصطناعِهِ لرحلته فى الدار الآخرة وهو

(١) المصادر السابقة للمعرى والخيام.

يقف قاضياً ممسكاً بميزان العدالة، فى رسالة الغفران، حتى صعوده إلى السماء فى صراعات لاتبغى إلا رحمة الله وعفوه ورضوانه ، فإننا نضع أمامنا وأمام التاريخ - كما أراد أبو العلاء- قوله الخالد - إزاء مَنْ ظلمه أو كفره أو نَافَقَه:

لاتظلموا الموتى وإن طـال المـدى

إنى أخـافُ عليكمو أنْ تلتقـوا!

ورسالة الغفران[١] التى تتضمن رحلته العجيبة التى اصطنعها بعبقريته الفذة، لم يكن المعروف عنها، حتى القرن الثالث عشر الهجرى، يتجاوز كلمات ذكرها مؤرخوها فى الترجمة عنه، وفى القرن التاسع عشر الميلادى بدأ اسم رسالة الغفران يُدوِّى فى الأوساط الأدبية والفكرية، فى العالم الأوربى، مقترنا بالكوميديا الإلهية لدانتى، على سبيل تشابه رحلتيهما إلى الدار الآخرة، وعلى سبيل أن دانتى، كما يقول المستشرق الأسبانى آسين بَلاَسيوس A.Placios قد عايشها وتأثر بها بالإضافة إلى أصول إسلامية أخرى لعله يقصد بها أحداث ليلة الإسراء والمعراج، التى رَوَتها السير المختلفة وذكرها بلاسيوس على أنها أصول إسلامية أخرى.

(١) د. عائشة عبد الرحمن: رسالة الغفران ط٦ ٧٨-١٢٦ المقدمة - القاهرة دار المعارف ١٩٧٧م.

ويمكن القول إن أول نشرة لرسالة الغفران جاءت عن طريق المستشرق نيكلسون عام ١٨٩٩م[١] وعام ١٩٠٢م، وهى التى اعتمد عليها بلاسيوس في دراسته لها، وقام بترجمة فصول منها إلى الإسبانية، مقارناً بينها وبين كوميديا دانتى الإلهية، وجاء المستشرق الايطالى: تشيروللى، فقدم كتاباً عن المعراج ومسألة المنابع العربية الأسبانية للكوميديا الإلهية لدانتى، مؤيدا نظرية بلاسيوس، وكان ذلك فى منتصف القرن العشرين.

أما فى العالم العربى فلم يتحقق لرسالة الغفران وجودها الحقيقى الأصيل إلا مع الجهد المحمود الذى قامت به الأستاذة الدكتورة عائشة عبدالرحمن فى نشرها عن أدق نسخة خطية كانت قائمة فى تركيا، فى مكتبة كوبر يللى زاده، باستانبول[٢].

والذى لاشك فيه أن أبا العلاء قد أملى رسالة الغفران، وهو فى الستين من عمره[٣]، وقد أرهفت العزلة حسه ووجدانه وأوغل فى النفاذ إلى أعماق نفسه، فانكشف له المطوىّ من همومه وجراحه، لطول ما أصغى إلى نبض وجدانه، وتمزقتّ حُجُب الوهم والمداراة، فإذا راحة اليأس قد عزت عليه، بعد أن عزتْ عليه قبلها نعمة الأمل! وإذا الانصراف النفسى عن الدنيا بعيد المنال.

---

(١) المجلة الآسيوية الملكية J.R.A.S.

(٢) نشر النص عام ١٩٥٠ محققا تحقيقا وافيا وطبع أكثر من خمس طبعات حتى الآن.

(٣) المصدر السابق للدكتورة عائشة عبدالرحمن.

وقد سجلها ردّا على رسالة ابن القارح الذى أراد أن يعقد بينه وبين شيخ المعرّة صداقة فى خريف العمر الذى كان يجمعهما على البعد مابين «حلب» ومعرة النعمان.

ويبدأ القسم الأول من رحلة المعرى، بِنَبَأ عن وصول رسالة ابن القارح المفتتحة بحمد الله وتمجيده، ثم الانطلاق إلى الدار الآخرة.

هكذا يمضى أبو العلاء بصاحبه ابن القارح فى ساحة العالم الآخر، صاعداً فى معراج من نور إلى عالى السموات، وقد غرس له بفضل الكلم الطيب شجرة فى الجنة، يجلس الشيخ فى ظلة مَعَ مَنْ اصطفى من نَدَامى الفردوس، وكلهم من علماء اللغة ورواة الشعر.

هكذا يمضى أبو العلاء بصاحبه فى رحلته الساحرة، وهو يعرض لنا مسارح الجنة حيث يغترف أصحابها الشراب من أنهار خمر الجنة وعَسَلها المصفى، فى كئوس من فضة وذهب، وحيث يرون فيها من كانوا يظنُّونه فى النار، كالأعشى وعبيد بن الأبرص، وزهير بن أبى سلمى، ويرون من أسراب إِوَزّ الجنة العجب العجاب، حين يَنْتَفِضْنَ على الأمواج، فَيصرن كواعب حِساناً بأيديهن المزاهر وآلات الطرب، حيث يدور الحوار والغناء

وحيث تقام المآدب التى ينعم بأطعمتها وأشربتها كل من فى الجنة من الشعراء والأدباء، ومن فيها من مشاهير المغنين والمغنيات، أمثال الغريض ومعبد، وابن مسجح، وابن سريْج، ودنانير وعنان، وحيث يشهدون من بدائع الجنة أشجار الحور، التى ما إنْ تكُسَرُ إحدى ثمارها حتى تنطلق منها حورية ليس لجمالها مثال.

وتمضى الرحلة وجهتها الأخرى، إلى النار والجحيم، حيث يشهد الشيخ وصاحبه، إبليس اللعين وغير إبليس اللعين، أمثال بشار بن برد وغيره من الشعراء أمثال امرئ القيس وعنترة، وعلقمة وعمرو بن كلثوم، وتأبط شراً، حتى إذا قضى مأربه من مشاهدة الجحيم، عاد إلى الجنة، ليلتقى بآدم أبى البشر، ويحاوره ويستمع مع صاحبه إليه، ثم ما يلبث أن يمر بروضة الحيّات، ويسمع من إحداها العجب من الروايات، وعلم القراءات وفقه قراءة القرآن، إلى أن يصل بصاحبه إلى محلّه المشيد فى دار الخلود.

وهنا ينتهى النصف الأول الهام من رحلة المعرى، ويبدأ النصف الثانى الذى لانجد فيه إلا ردوداً على تساؤلات ابن القارح

فقرةً فَقْرةً، فى قضايا نقدية وتاريخية مما شغل أئمة اللغة العربية، وفى قضايا مذهبية عن الزنادقة، والفرق الكلاميّة الكبرى كالمعتزلة والأشاعرة والشيعة وغيرهم.

ومسرح الأحداث هو الجنة والمحشر والجحيم. وابن القارح صديق أبى العلاء هو البطل الذى وصل به أبو العلاء بين هذه الأبعاد والساحات الثلاث من بداية الرحلة إلى نهايتها إن كانت لها نهاية، والمشاهد تعتمد على الحركة والحوار وكثيراً ما تصاحبها موسيقى تصويرية عن الشعر المعبِّر عن المشهد المشخَّص أو الممّهد لهَ، ومن مناخ الصور الدرامية المنبثقة من المشاهد المتلاحقة.

ونستطيع أن نقول بكل يقين: إن أبا العلاء الذى عزل نفسه عن الحياة الدنيا فى حياته البشرية والإنسانية وجد ذاته وأكدها فى إبداعاته، وفيما قدمه فى رحلته إلى الدار الآخرة، كما أكد أنه الأعمق بصيرة ووعياً، وأنه ذلك البصير الذى خبر الدنيا والناس والحياة، كما لم يخبرها الغارقون فى دوّاماتها إلى مافوق الأذقان والعيون، المعتزل الحّر بإرادته الحُرة، الذى أكد عظمة رسالة الحرية له، وللبشرية على مر العصور، وهو يمضى فى رحلته عملاقاً رافضاً غاضباً ثائراً على كل ألوان وأنماط الكذب والمراء والتدليس

والنفاق، غير مؤمن إلا بالله والحرية والرحمة والسلام.. فلندخل ساحة أبى العلاء فى رحلته الخالدة.

المعرى: بسم الله الرحمن الرحيم... والحمد لله رب العالمين...

اللهم يَسِّرْ وأعِنْ...

...وقد وصلت الرسالة التى بَحْرهُا بالحكم مَسْحُور، وَمَنّ قَرَأهَا مأجور، وفى تلك السطور كلام كثير، كُلُّهُ عن البارئ أثير، فقد غُرس لمولاى الشيخ الجليل-إن شاء الله- بذلك الثناء شجر فى الجنة لذيذ اجتناء.

وتجرى فى أصول الشجر أنهار، والكوثر يُمدها فى كل أوان مَنْ شربَ منها الجَرْعةَ فلا مَوْت، أنهار من عَسَلٍ مُصَفّى، مّما كَسَبَتْهُ النَحّلُ الغادية إلى الأزهار.

ولكن قال له العزيز القادر: كُنْ فكَانْ، وبكَرَمه أعطى الامكانْ ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ** ﴿١٥﴾ ﴾[١].

(١) سورة محمد الآية ١٥.

﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾[1]. صدق الله العظيم

فى رحاب الجنة

الراوية:

.. ثم إنه– أدام الله تمكينَه– يَخطِرُ له حديثُ شئ كان يُسّمى النُّزهة، فى الدار الفانية، فيركب نجيباً من نُجب الجنة خُلقِ من ياقوتٍ ودُرٍّ، فى سَجْسجٍ بَعُدَ عن الحَرّ والقَرّ.. ويسير فى الجنة على غير منهج، ومعه شئ من طعام الخلود، ذُخِرَ لوالدِ سَعِدَ أو مولود!!.

ميمون بن قيس:

أَلَمْ تَغْتَمضْ عيناكَ ليلة، أَرْمَدَا

وعادَكَ ما عاد السليم المِسُهَّدا؟!!

الشيخ:

هذا شعر لازلت أذكره.. من الهاتف بهذا الشعر؟

(١) سورة الرعد الآية ٢٣ و ٢٤.

ميمون :

ميمون بن قيس.

الشيخ:

ميمون بن قيس بن جندل فى الجنة؟ هذا عجيب!!

ميمون :

وفيم العجب يا سيدى؟ اسمعْ قصتى وسوف ينتهى عجبك إلى إعجاب..

الشيخ:

قل لى بحق مَنْ شفع لك فكانت شفاعته هجرةً من النار إلى الجنة.

ميمون:

سَحَبَتْنى الزبانية الى سَقَرَ، فرأيتُ رَجُلاً فى عَرَصات القيامة، يتلألأ وَجْهُهُ تلألُؤَ القمر والناس يهتفون به من كل رُكن...

يامحمد يامحمد، الشفاعة، الشفاعة، وصرخت ضارعاً وأنا فى أيدى الزبانية: أغِثْنى يامحمد أغِثنى فإن لى بك حُرْمة!!

الشيخ :

وماذا حدث؟

ميمون:

تَرَفَّق بى محمد ﷺ حين سمع ضراعتى، فبعث إلى بعلىٍّ ابن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه، وأنا أُجَرُّ كى أُلقى فى الدرْك الأسفل من النار، فَزَجرهم عنّى فتركونى وابتعدوا، وتقدم علىّ رضى الله عنه وسألنى:

ما حُرْمَتُك فقلت أنا القائل:

ألا أيهـذا السَّـائِلِى أيَنَ يَمّمتْ

فإنَّ لها فى أهـل يثـرب مَـوعِـدَا

فآليتُ لا أرثى لها من كـلالةٍ

ولا من حفًى حتى تُلاقى محمدا!

علىّ:

أهذه قصيدتك التى كنت تنوى فى حياتك الدنيا أن تلقيها أمام النبى محمد، فَمَنَعْتكَ قريش واعتقلتك وَصَدَّتْكَ عن لقاء الرسول؟

ميمون:

نعم سيدى قصيدتى الداليّة..

علىّ:

قل منها شيئاً..

ميمون:

مَتَى ما تُناخى عند باب ابن هاشمٍ

تُراحيِ وتَلْقَىْ من فواضِلِه نَدَى!!!

إذا أنت لم تَرْحَلْ بزادٍ من التُّقى

وأبصرت بعد الموت من قد تَزَوّدا

ندمتَ على أنْ لاتكونَ كمثله

وأنك لم تُرصِدْ لما كان أرْصَدَا

نبى يرى ما لا تَرَوْن وذكرُه

أغارَ لَعَمْرى فى البلاد وأنْجَدا

عبور الشيخ وديان الجنة

وينظر الشيخ فى تطوافه وديان الجنان وشعابها، فيرى قصرين مُنيفين، فيقول فى نفسه فيما يقول.

الشيخ: لأَبْلُغَنَّ هذين القصرين فأسأل لمن هما.. لمن هذان القصران يافتى؟

الفتى الحارس: نعم سيدى الشيخ..

الشيخ: لمن هذا القصر يافتى؟

الحارس: أو ما تقرأ ياسيدى ما هو مكتوب على بابه؟

الشيخ: نعم نعم هذا قصر زهير بن أبى سُلْمىَ المُزنىّ..

الشيخ: والقصر الآخر؟ يافتى؟

الحارس: هذا قصرُ عَبِيد بن الأبرص الأسدِىّ...

الشيخ.. فى دهشة:

رَبَّنا وَسعْتَ كلَّ شئ رحمةً وعلماً

تُعِزُّ من تشاءُ وتُذلُ من تشاءُ

سألتمس لقاءهما. . هذان ماتا فى الجاهلية

ياولدى. . ، . . فكيف دخلا الجنة؟

الحارس:

تفضل سيدى وستعرف منهما كل شئ. .

الشيخ. . مندهشاً من شباب وجمال زهير:

عجباً. . كأنك زهرة نديَّة

ما هذا الشباب وهذه الروعة؟ كأنك لم تقل:

سئمتُ تكاليف الحياة ومن يَعِشْ

ثمانين حَولاً لا أبَاَلَكَ يَسْأمِ

قل لى بمَ غُفِرَ لك وقد كنتَ فى زمان الفترة؟

زهير:

الحق أقول لك كانت نفسى من الباطل نَفُورًا، وكنتُ مؤمناً بالله العظيم، ورأيت فيما يرى النائم، حَبْلاً نازلاً من السماء قيل: مَنْ تَعلّق به من سكان الأرض سلم وغنم فعلمت أنه مَنْ أمْرِ الله، فأوصيتُ بنّى، وقلت لهم عند الموت: إن قام قائم، يدعوكم إلى عبادة الله فأطيعوه.. نعم أطيعوه. .

الشيخ:

جميل ثم ماذا؟

زهير:

وقلتُ لهم: لو أدركتُ محمّدا، لكنتُ أول المؤمنين وقلت في قصيدتي الميمّية:

ومهما تكن عند أمرئ من خليقة
وإن خَاَلها تَخْفىَ على الناس تُعْلَمِ

فلا تَكتُمَنَّ الله ما في نفوسكم
ليَخْفى ومهما يُكتَم الله يَعْلَمِ

يُؤَخَّرْ فيوضعْ في كتابٍ فَيُدخرْ
ليوم حسابٍ أو يعجل فَيُنتقم

الشيخ.. ينتقل إلى قصر عبيد بن الأبرصّ:

السلام عليك يا أخا بني أسد..

عَبيد:

وعليك السلام.. إن أهل الجنة أذكياء لايخالطهم الأغبياء.

الشيخ:.. وهو يضحك

لعلك فهمت ما أريد..

عبيد:

نعم إنك تريد أن تسألنى بم غُفِر لى أنا الآخر؟

الشيخ:

نعم وإن فى ذلك لعَجباً وأى عجب!!!

عبيد:

لك أن تعجب، وربما تعجب أكثر، حين تعلم أنى دخلتُ الهاوية وكنت أردد كثيراً أيام الحياة الدنيا:

مَنْ يسـألِ النـاسَ يَحْـرمُوه

وسـائـل الله لايخـيـبُ

الشيخ:

وشَفَعَ لك هذا البيت؟

عبيد:

لقد سار هذا البيت فى آفاق البلاد، فلم يزل يُنشَدُ ويُنشد فى كل مكان وزمان، ويُخفف عنى العذاب حتى تحررت من القيود والأصفار..

ثم انتهى بى الأمر إلى أن شملتنى رحمة الله وإن ربنا لغفور رحيم..

***

ويمر سرب من أوز الجنة، فلا يلبث أن ينزل على تلك الروضة، ويقف وقوف من ينتظر الأمر.. ومن شأن طير الجنة أن يتكلم فيقول الشيخ ما شأنكن فَيَقُلن، أُلْهِمنَا أن نهبط فى هذه الروضة فنغنى لها، ونُغنى لمن فيها ولمن يطوف.. فيقول الشيخ: على بركة الله القدير، فَيَنْتَفضنَ فَيَصِرْن جوارى كَواعبَ، يَرفُلن فى وشى الجنة، ويُغنين ماشاء لهنّ الغناء.

***

ويبدو للشيخ أن يطلع إلى أهل النار، فينظر إلى ماهم فيه، ليَعظُم شكرُه على النّعم، فيركب بعض دواب الجنة ويسير، فإذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة.. وتدور أمور وأمور..

انتقال مع الشيخ إلى جنة العفاريت

الشيخ:

ما هذه ياعبدالله؟

الملاك:

هذه جنة العفاريت ياسيدى..

الشيخ:

جنة العفاريت؟

الملاك:

نعم، وهم من الذين ذكروا فى سورة الجن، وسورة الأحقاف آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وهم عدد كثير..

الشيخ: هل تصحبنى إلى ساحتهم.. فلن أخْلُو لديهم من أعجوبة.

الملاك.. فى رقة:

رهن إشارتك ياسيدى هيا بنا..

فى جنة العفاريت المؤمنين

الشيخ من الجن:

ماجاء بك يا إنسى؟ إنكَ بخير لَعَسِىٌّ!!!

الشيخ:

سمعت أنكم جن مؤمنون فجئت ألتمس عندكم أخباركم وما لعله لديكم من أشعار المَرَدَةِ!!

شيخ الجان:

لقد أصَبْت.. فَسَلْ عما بدا لك.

الشيخ القارح:

ما اسمك؟

شيخ الجان:

الخيتعور!! أحدُ بَني الشَّيْصَبَان. ولسنا من وَلَد إبليس، ولكنّا من الجنّ الذين كانوا يسكنون الأرض قبل وَلَد آدم عليه السلام.

الشيخ:

عظيم.. أخبرنى إذنْ عن أشعار الجن، فقد جمع منها فى عالمنا الدنيوى، أبو عبدالله المرزبانى قطعة صالحة رواها ورَوَيناها..

شيخ الجان: . . يضحك:

هذا هذيان لا مُعْتَمَدَ عليه.. وهل يعرف البشر من شعرنا إلا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الأرض؟

الشيخ ابن القارح:

هكذا؟

شيخ الجان:

إن عندنا آلاف الأوزان التى ما سمع بها البشر من الإنس.

الشيخ ابن القارح:

وما كُنْيَتُكَ حتى أناديك؟

شيخ الجان:

أبو هَدْرَشْ. . أولدتُ من الأولاد قبائل، بعضهم فى النار، وبعضهم فى الجنان. .

الشيخ:

هل تُسمعنى شيئا من شعركم الرائع؟

شيخ الجان:

حَمِدْتُ مَنْ حَطَّ أوزارى وَمَزقها
عنّى فأصبح ذَنْبِي الآنَ مغفـــــوراً
وكنتُ آلفُ من أتْــرابِ قُرطــبةٍ
خَــودًا وبالصين أخرى بِنْتَ يَغْبُوُراَ

أَزُورُ تلك وهـــذى غـيرَ مُكْتَرِثٍ

في ليلةٍ قبل أن أستوضح النُّورا

ولا أمــرُّ بَوحْشىٍّ ولابَشَــرٍ * إلاّ وغـادرتُه ولْهانَ مَذْعورا

وقد عَرَضْتُ لموسى فى تَفَــرُّدهِ

بالشَّاءِ ينتج عُمْرُوسـاً وفُــرْفُوراَ

لم أُخلِهِ من حديثٍ مّا ووَسْوَسةٍ

إذ دَكَّ ربُّكَ فى تكليمه الطُّــورا

وطرتُ فى زمـن الطــوفان مُعْتليا

فى الجوِّ حتى رأيت الماء مَحسوْرا

وتارةً أنا صِلٌّ فى نكاَرتِهِ * وربماّ أبصرتْنى العينُ عصفورا

تَلُوحُ لى الأنس عُوراً أو ذَوِى حَوَلٍ

ولم تكــن قَطُّ لا حُولاً ولا عُوراَ

ثم اتعَّظْتُ وصارت تَوْبَتى مثلاً

مِنْ بعد ماعشتُ بالعصيان مشهوراً

حتى إذا انفضّـــت الدنيا ونـــودىِ

إســـرافيلُ ويْحَكَ هلا تَنْفُخُ الصُّورا

أماتنى الله شيئاً ثم أيقظنى * لِمَبْعَثِي فَرُزِقْتُ الخُلد مَبْرورا

الشيخ ابن القارح:

لله دَرُّكَ يا أبا هَدْرشْ

لله دَرُّكَ يا أبا هَدْرشْ

انتقال إلى النار

ويمضى الركب فيرى فى طرف الجنة، الخنساء تشهد أخاها صَخْراً، والنار تضطرم فى رأسه، كما يرى الحُطَيْئَةَ العَبسْىَّ فى كوخ حقير بأقصى أقاصى الجنة، فإذا انطلق الركب إلى الجحيم لقى الشيخ هناك شعراءَ النار، وكان منهم الكثيرون وفى مقدمتهم امرؤ القيس، وبشار بن بُرد، وعنترة العَبْسى. .

وقد ظل الشيخ يناقشهم فى كثير من قضايا اللغة والأدب فى شعرهم وشعر غيرهم، فى الحياة الأولى، لكنّ الشيخ يُذْهَلُ، وما يلبث أن يشعر بالرضا، حين يرى إبليس اللعين وهو يضطرب فى السلاسل والأغلال فى جَنَبات الجحيم. .

حوار مع إبليس

الشيخ ابن القارح:

الحمد لله الذى أَمْكَنَ منك، ياعدوّ الله، وعدوّ أوليائه!!!
لقد أهلكت من بنى آدم طوائف ومِللاً، لايعلمُ عَدَدهَا إلا الله!!!

إبليس:

ومن أنت؟

الشيخ ابن القارح:

رجل من أهل حَلَب. . كانت صناعتى الأدب.

إبليس.. فى سخرية:

بِئْسَت الصناعة فى كل مكان وزمان إنها لا تَهَبُ من العيش إلا أقَلَّه وأذلَّه!!!..

وكم أهلكت مثلك!! فهنيئا لك إن نَجَوْتَ!!

لكنّ لى إليك حاجة!!

ابن القارح:

ماذا تقول؟

إبليس:

أقول.. إنّ لى إليك حاجة..

الشيخ ابن القارح:

إنى لا أقدرُ لكَ على نَفْع ولا يقدر أحد منِ أمثالى أن يقّدم لك خيرًا أو نفعاً، فإن آية الله سَبَقَتْ فى أهل النار؟

إبليس:

أيّةُ آيةٍ.

الشيخ ابن القارح:

قولُ الله سبحانه وتعالى فى أهل النار..

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾(1).

إبليس.. فى خبث:

أنا لا أسألك فى شئ من ذلك.. وإنما أسألك فى أمرٍ جهلتُ حقيقته..

---

(١) سورة الأعراف الآية ٥٠.

الشيخ:

سَلْ ما شئت!

إبليس: إنّ الخمر قد حُرمتْ عليكم فى الدنيا وأُحلّتْ لكم فى الآخرة.

الشيخ :

خمر الآخرة غير خمر الدنيا!

إبليس:

سؤالى هو: هل يفعل أهل الجنة بالولدان المُخلدين، ما كان يفعله أهل القَريْاَت فى زمان لُوط؟!!

الشيخ.. فى فزع وغضب:

عليك اللعنة فى الدنيا والآخرة.. أفى هذا العذاب من الجحيم وتسأل هذا المنكر من السؤال؟

ومع ذلك اسمع يا عدوّ الله فى هذه القضية.. ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾[1] صدق الله العظيم.

(١) سورة البقرة الآية ٢٥.

خسئتَ يا عدوّ الله .. خسئتَ يا عدو الله.. وعدوّ رسول الله والمؤمنين جميعاً.

العودة إلى طريق الجنة من جديد

ويدرك الشيخ قلة الفوائد لدى أهل النار، فيتركهم فى شقائهم السرمدىّ، ويعود لمحلّه في الجنان، وهناك يلقى أبا البشر آدم عليه السلام فى الطريق، على مُنعَطَفٍ هناك..

عودة إلى مسمع آدم مع الشيخ فى الجنة

الشيخ:

يا أبانا صلَّى الله عليك..

آدم:

وعليك يا ولدى..

الشيخ:

يُرْوَى لنا عنك شعر عربىّ منه قولك:

نحنُ بنو الأرض وسكّانها

منها خُلِقْنا وإليها نَعُودْ

والسَّعــدُ لا يَبْقَى لأصحـــابه

والنَّحْسُ تَمْحُوُهُ ليالى السعودْ

آدم:

إنّ هذا القول حق، وما نَطَق به إلا بعضُ الحكماء، ولكنى لم أسمعْ به، حتى هذه اللحظة.

الشيخ.. فى رقه:

لَعَلَّك يا أبانا قُلْتَه ثم نَسيته فقد علمنا أن النسيان متسرع إليك، وحَسْبنا شهيداً على ذلك الآية المَتْلُوةُ فى فرقان محمد ﷺ ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا** ﴾[1].

آدم:

نعم !!!

الشيخ:

وزعم بعض العلماء أنك إنما سُمَّيت إنسانا لنسيانك، وقد ذكر أبو تمام الشاعر ذلك فى قوله من قصيدة رائعة:

لاتَنْسَيَنْ تلك العهــود وإنما

سُمَّيتَ إنســانا لأنك نَاسِ!!!

---

(١) سورة طه الآية ١١٥.

ويرى نحاة البَصْرة أن الإنسان من الأُنس!!!

آدم.. يقاطعه:

أَبَيْتمُ إلا عقوقاً وأذيّة..

لقد كنتُ أتكلم بالعربية وأنا فى الجنة، فلما هبطتُ الأرض نُقِلَ لسانى إلى السُريانية، فلم أنطق بغيرها إلى أن هلكت.

الشيخ:

ثم ماذا يا أبانا؟

آدم:

ولّما ردّنى الله سبحانه وتعالى إلى الجنة، عادت إلىّ العربية، فَأَىَّ حينٍ نظمتُ هذا الشعر؟ فى الدار العاجلة أم فى الدار الآجلة؟

الشيخ:

لا أدرى يا أبانا؟

آدم:

الذى قال ذلك، يجب أن يكون قد قاله، وهو فى الدار الماكرة ألا ترى قوله: «منها خُلقنا وإليها نَعودُ»

فكيف أقول هذا المقال ولسانى سُرْيانى؟

الشيخ:

نعم يا أبانا.. صدقتَ يا أبانا.

آدم:

وأما الجنة قبل أن أخرج منها، فلم أكُنْ أدرى بالموت فيها، وأما بعد رجوعى إليها فلا معنى لقولى «وإليها نعود» لأنه كذب لا محالة!!! فنحن معاشر أهل الجنة خالدون مخلّدون..

انتقال

ويتكّئ الشيخ على مَفْرشٍ من السُّندس، ويُؤْمَرُ الحُورُ العينُ أن يحملنَ ذلك المَفْرشَ، فَيَضَعْنَهُ على سريرٍ من سُرُرُ أهل الجنة، وإنما هو زَبَرْجَد أو عَسْجَدْ، ويَخْلُق البارئ فيه حَلَقاً من الذهب، تُطيف به كُلَّ الأنحاء، حتى يأخذ كلُ واحدٍ من الغلمان وكلٍ واحدة من الجوارى الحِسان بالجُمان، واحدةً من تلك الحلق.. فيحمل على تلك الحال، إلى محلّه المشيّد بدار الخلود، فكلما مرّ بشجرة، رشّتْهُ أغصانها بماء الورد، قد خُلط بماء الكافور والمسك العتيق، وتناديه الثمرات من كل مكان: هل لك يا أبا الحَسَن؟ هل لك؟ فإذا نظر عنقوداً من العنب أو غيره، انْفَلَتَ من الشجرة بمشيئة الله، وحملته القدرة إليه بأمر الله... وأهل الجنة يَلْقَونَه بأصناف التحية، ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

---

(١) الآية ١٠ من سورة يونس.

ثانياً
رحلة دانتى أليچيرى
Dante Aligheri
١٢٦٥م - ١٣٢١م

حين نقف مع دانتى فى رحلته إلى الدار الآخرة، فى الكوميديا الإلهية، فإننا نقف فى الواقع مع فارس عصر النهضة وشاعرها المبدع، روحها الوضئ، ووجدانها المُشرق، وعقلها البصير.

وهو ينتمى إلى أسرة من أصول رومانية أصيلة، ترتبط ببيت يوليوس قيصر ذاته، أحب منذ صباه، بياتريتشى BeatricE حلم دنياه، وأمل آخرته، وقد بكاها كثيراً عندما هجرته، وتزوجت أحد الأثرياء الكبار، وبكاها أكثر وأكثر طوال حياته، عندما ماتت فى عمر الورود.

وهى التى وضع من أجلها كل أفكاره وأشعاره وتأملاته فى رحلته إلى الدار الآخرة، سُمُوًّا بنفسه معها، وتخليداً لحبه لها فى دنياه وأخراه، وسوف نرى فى ثنايا الكوميديا الإلهية، فيضاً من دموعه الضارعة، فى حواره معها، عندما تلقاه فى ساحة الخلود آسفاً، نادماً أشد الندم على ما اجترحه من آثار فى حق قداستها

وطهارتها، فإذا صاحبنا معنا فى هذه المقدمة عن دانتى، الشاعر الكبير، إليوت T.S.Eliot فإننا نؤكد أن اختياره يرجع إلى عشقه لدانتى عشقا لانظير له، الأمر الذى جعله يقتدى به ويترسّم خُطاه، ويتنفس فى أجوائه، ويحيا فى تأملاته وأفكاره.

يقول إليوت[1] فيما يقول، فى مقالاته المختارة عن دانتى «فيما يخص علم أو فنّ الكتابة الشعرية، فإننى قد تعلمت من «دانتى» أن أعظم الأشعار، هى ما كانت فى كلمات مُختصرة اختصاراً شديداً مع الصرامة التامة، فى استعمال الاستعارة والتشبيه وجمال اللفظ ورونقه» «وأنا حينما أؤكد، أنه يمكننا أن نتعلم من دانتى كيفية صياغة الشعر، أكثر من أى شاعر إنجليزى ممتاز، فإننى لا أعنى ذلك أن منهج دانتى، هو الطريق الوحيد الصحيح، أو أن دانتى أعظم من «شكسبير» أو أى شاعر إنجليزى آخر». «إنّ لغة دانتى - رغم أنها عادية، إلا أنها فى الواقع متكاملة وهذا واضح تمام الوضوح فى رائعته الخالدة: الكوميديا الإلهية حيث تلتحم الفلسفة بالنسيج الشعرى، فتشدّ من خُيُوطه

(١) إليوت T.S eliot (١٨٨٨م- ١٩٦٥م): المقالات المختارة عن دانتى
Eliot (T.S): Dante Selected essays 10. 250/260 وانظر ايضا له:
The use of Poetry

ويتداخل فى مكوناته، وتصبح جُزْءاً لا يتجزأ من هذا التنسيق المُبدع، الذى يكون في مجموعه ذلك الإنتاج الفنى العظيم»[١].

من هنا ندرك كيف تتفاعل الفكرة الفلسفية، مع الوجدان الشعرىّ فَتُخْصِبُهُ، وتمنحه ثراءً منقطع الوصْف والنظير، حيث تخلّلُ عناصرَهُ، وتَنْبتُّ فى كل ذراته وشحناته، قبل أن تمتزج بها جميعاً وتتحد معها كلّها «وما هذا السلوك إلا تطابق متكامل للقضايا الميتافيزيقية، وتجسيم للرؤى الخلاقة وتركيز للفكرة الفلسفية، فى بؤرة شعورية، تعتمد على الحدث، قدر اعتمادها على الشعور الصادق والتأمل البصير[٢]».

وعلى الرغم[٣] من أن الشعر، سواء فى العالم الغربى، أو العربى، قد سار -فى الأغلب الأعم- فى خط منفصل عن الفلسفة والفكر الفلسفى، وعلى الرغم من أن الفلسفة حَصَرَتْ مجالها فى الفكر المجرد، فإننا نجد فى التراث الإنسانى، التحام الخطين فى الشعر الميتافيزيقى الذى لا يعتمد على الجَدلَ، قدر

(١، ٢، ٣) المصدر السابق لإليوت وانظر مقالنا: الشعر الفلسفى بين دانتى وإليوت: مجلة الأديب بيروت عدد مارس ١٩٧٥م السنة ٣٤. وقد درسنا فى هذا المقال مواضع اللقاء بينهما وأثر دانتى فى ملاحم إليوت.

اعتماده واستناده إلى الملاحظة الباصرة، التى تستمد وَقُودهَا، وقوتّها، وحيويتها، من المشاهدة النافذة للمرئيات المختلفة.

«إليوت»(١) هنا يرى، فى هذه النقطة الشائكة، أن الشعر لم يكن فى يوم من الأيام أصلاً للفلسفة، ولم يضع مطلقاً الشكل الأساسىّ لها» لأن الفلسفة - كما يقول- لاتستند إليه، فى مراحل التطور الفكرى، والعكس هو الصحيح، فلقد غَزَت الفلسفة ميدان الشعر، واقتحم النظر العقلى محيطه، بعد أن تبلورت قضاياها، ورسخت اتجاهاتها الفكرية وأصبحت فى وجدان النابغين والعباقرة من الشعراء والأدباء.

من هنا ندرك أن «دانتى» صاحب الكوميديا الإلهية، قد أفاد فائدة عظمى من الفكر الفلسفى والتأملات الفلسفية السابقة على عصره، منذ عهد سقراط وأفلاطون، وحتى أفلوطين وأوجسطين ولاشك أن أية محاولة لفصل تيار هذا الفكر الفلسفى عن شاعرية «دانتى» فيها إساءة للدراسات الفلسفية والفنية معا، قبل الإساءة إلى دانتى فى ذاته وأفكاره ووجداناته، وقبل الإساءة إلى أمثال، إليوت، «وسارتر»، وكامى وأمثالهم فى إبداعاتهم جميعاً.

---

(١) المصدر السابق لإليوت وانظر مقالنا: الشعر الفلسفى بين دانتى وإليوت: مجلة الأديب بيروت عدد مارس ١٩٧٥م السنة ٣٤. وقد درسنا فى هذا المقال مواضع اللقاء بينهما وأثر دانتى فى ملاحم إليوت.

والذى لاشك فيه أن «دانتى» كان صاحب حسٍّ رقيق، جعله شديد التأثر، حتى ليصدق عليه ما نقوله أحياناً عن الإنسان، ذى الحساسية المفرطة، من أن أعصابه فوق جِلده، وكان كثير البكاء، فى صورة غريبة حقًّا وفى غرفة خاصة، تسمى غرفة الدموع والأشجان، وكان من فرط حُزنه، يحرك رأسه، بلا وَعيٍ كامل، كأنه شئ ثقيل لاحياة فيه(١).

بكى «دانتى» وهو طفل وهو صبى، وهو شاب، وهو كهل وبكى كثيراً عندما كان يكتب الكوميديا الإلهية فى رحلته إلى الدار الآخرة التى كان يحن أشد الحنين إلى الانتقال إليها، وبكى أكثر وأكثر عندما شارك المعذّبين آلامهم فى الجحيم والمطهر، وبكى فى ندم وحَسْرةَ وضراعة، عندما عاتبته «بياترتيشى» معشوقته السماوية، وكانت قاسية عليه أشد القسوة، وهو يجتاز عتبات المطهر، كما بكى عندما سمع تراتيل الملائكة فى الفردوس العظيم».

ولما كان «دانتى» قد عاش غريبا، مَنْفِيًّا بين قومه، وهو فيهم وفى وطنه، وهو ينتقل فى جنباته، وفى دنياه، وهو يتعجل فيها

(١) الدكتور حسن عثمان: مقدمات الكوميديا الإلهية التى قام بترجمتها وتحقيقها، بما يفوق حدود الروعة والإبداع مما يؤكد خسارة الساحة الفكرية والأدبية العربية، من فقدان واحد من أعلام الرواد العرب!!.

آخرته، فقد كان فى أعماق نفسه ثائرًا غاضباً يود لو استطاع الانتقام من كل من أساء إليه، من بعيد أو قريب.

وقد عاش «دانتى» حياة عريضة، حافلةً بكل الصراعات، فى وطنه الغريب عليه، وفى منفاه الروحى فى جسده ودنياه، لكنه لم يؤمن إلا بقوة الروح، وإرادة الفن والفنان.

إن رحلة دانتى إلى الدار الآخرة، بدأت مساء الخميس ليلة الجمعة ٧-٨ من شهر ابريل عام ١٣٠٠م، وانتهت يوم الخميس ١٤ من ابريل من نفس العام... سبعة أيام كاملات، حيث استغرقت زيارة الجحيم يومين والمطهر أربعة أيام، و الفردوس نهاراً واحداً فقط، وكان الزمن الباقى من حساب الأيام السبعة، للعبور بين الجحيم والمطهر والفردوس.

وقد سَلَكَ «دانتى» نهجاً أقرب إلى النهج الصوفى الحدسى، فى علاج النفس البشرية لتصعد من درجات النفس الغريزية، إلى معارج النفس اللوامة المتطهرة المتحررة، حتى تتسامى إلى درجات النفس المطمئنة الراضية المرضية[١].

لهذا كان يرى أن تغيير المعتقدات والقوانين والنظم لايؤدى

(١) دانتى: الكوميديا الإلهية: الترجمة العربية، المصدر السابق الجحيم : الأنشودة ٣/ ٧٧، المطهر ٣/ ٨١. الجحيم ، ٥٠/ ١٦٤- ١٧: .

بالضرورة إلى إصلاح حقيقى، بل إن تطهير النفس، وتحرير الروح، باطنيًا هو الطريق الصحيح للسعادة الحقة، فى ساحة النقاء، وحياة الصفاء والعدالة[1].

وتظهر لنا حقيقة واضحة كل الوضوح، يؤكدها «دانتى»[2] فى رحلته الخالدة، وهى أن العقل البشرى، لايمكنه الاحاطة بجوهر الوجود أو أسرار الوجود «وإنه لمجنون مجنون، ذلك الذى يأمل فى عقلنا (الإنسانى) اجتياز الطريق اللانهائى» ولاشك أن «دانتى» هنا يتفق ويؤكد أوجسطين والغزالى معاً، فى هذه النظرة[3]، كما أنه يؤكد مفهوم النظرية الأفلاطونية القديمة، التى ترى أنه بالتطهر الصادق، يمكن اجتياز العقبات نحو السكينة السماوية[4].

وقد ناقش «دانتى» كثيراً من القضايا فى رحلته (كالمعرى سواء بسواء) ومنها، قضية المسئولية الأخلاقية والجزاء، نرى هذا واضحاً حين يسأل «دانتى» صاحبه ورائده «فرچيل» عن السبب

(١، ٢) دانتى: الكوميديا الالهية: الترجمة العربية، المصدر السابق الجحيم: الأنشودة ٣/ ٧٧، المطهر ٣/ ٨١ ، الجحيم ٥١/ ١٦٤- ١٧٤ .

(٣، ٤) انظر كتابنا: الفلسفة الصوفية فى الإسلام ط٣ دار المعارف ١٩٩٦م. ٣ دانتى: الجحيم فقرة ١٠٠/ ٧١ والفقرت ٥٥-٦٧ وانظر المطهر: فقرة/ ٧١.

فى عدم سيطرة أو انتصار الفضائل فى عالمنا الأرضى ويكون الجواب، بأن ذلك ليس مسئولية السماء، فليست السماء هى السبب، وإلا كان هذا معناه، إلغاء الإرادة الحرة لآدم ولذرية آدم وحواء، فالإنسان بإرادته الحرة، وحريته المريدة، هو الذى يختار عقله طريق الخير أو الشر، الصواب أو الخطأ، الحق أو الباطل. .

أمر آخر يؤكده «دانتى» هو أن البشر أنفسهم هم سبب كثرة الفساد فى العالم، فإن النفس تهبط -كما يقول- ساذجة نقية، إلى العالم الأرضى، ثم ما تلبث أن تُهرع إلى سراب الدنيا التافهة الزائلة.

من هنا كان ضروريًّا وجود قانون حاكم يرعى ويحمى البشر، ولكن ليست العبرة، فى تلك القوانين والتشريعات، بل فى من يباشرها ويحميها ويُطيعها من الحاكمين[١] وفى فلسفة المحبة يرى «دانتى» أنه لكى تكون المحبة صادقة، فإنه يجب أن تكون صادرة عن عقل لكى تكون عادلة خيرة، فإذا اعتدلت فى محبة الدنيا، فإنها لاترتكب خطأ أو خطيئة، ولعل دانتى هنا

---

(١) المصدر السابق لدانتى.

وثيق الصلة برأى سقراط فى الفضيلة والمعرفة، وأن الفضيلة معرفة، فمن عرف -(عن عقل)- لم يخطئ ولم يأثم[1].

كما يرى «دانتى»[2] أن المعارف الأولية فطرية فى الإنسان وهى صادقة كل الصدق «صدق غريزة النحل فى صناعة العسل» ويؤكد[3] أن العقل المستنير البصير، هو الذى يَحمى الروح من قبول المحبة الخبيثة، كما أنه الذى يحسم الموقف بالرفض لكل مايجنح بالنفس إلى دنايا الأمور، بوحى من الإرادة الباصرة.

ونرى أن «دانتى» فى حواره حول أثر الكواكب والنجوم والأفلاك والأبراج، ينكر تمام الإنكار أثر هذه الأجرام فى حظوظ المواليد من البشر، من مولدهم إلى وفاتهم، وهو فى هذا يتفق مع القديس أوجسطين فى اعترافاته، ويركز دانتى فى نهاية رحلته إلى الدار الآخرة، على نقطتين خطيرتين، فى هذا المجال الأولى: هى يقينُ الإرادة الإنسانية التى هى مناط المسئولية الأخلاقية، الثانية: وَفْرةُ النعم الإلهية، التى هى فوق البصائر والمدركات الإنسانية، وهى التى تملك زمام الكون كله رعايةً ولطفاً وفيضاً

(١) المصدر السابق وانظر محاورات أفلاطون حول سقراط ترجمة الدكتور. زكى نجيب محمود.

(٢، ٣) دانتى: المصدر السابق فى الكوميديا وانظر اعترافات القديس أوجسطين.

من رحمة الله، وهذا هو ما نجده عند فلاسفة الإسلام فيما يسمونه للطف الإلهى والعناية الإلهية والتوفيق الإلهى، وما يدخل فى الفلسفة الإسلامية مؤكداً أن دليل العناية الإلهية وثيق الصلة بدليل إيجاد الله لكائناته ومخلوقاته، بمعنى أوضح إن دليل العناية يدخل فى دليل الوجود معاً وجميعاً، فالله الخالق الموجود لكل شئ هو الراعى الحافظ بعنايته ورحمته لكل شئ، سبحانه وتعالى، ليس كمثله شئ.

قبل أن ندخل ساحة دانتى فى رحلته الخالدة، بقيت لنا كلمة قصيرة جداً، عن قضية تأثره برسالة الغفران للمعرى فى صياغته للكوميديا الإلهية، تلك القضية التى أكدها «بلاسيوس» ١٩١٩م ووثقها شيرويلى ١٩٤٩، حين نشر وثائقه حول معراج محمد، أو «سلم محمد» وفى رأينا أن دانتى عاش فى عصر شديد التعصب للصليبية، لكنه من المؤكد قد طالع رحلة الإلياذة والأوديسه لهوميروس إلى الدار الآخرة ثم رحلة فرجيل مع الإنيادة ثم الترجمان لمعراج محمد، أو (سُلّم محمد). . الذى قرأ فيه، عن الملاك الذى تشخص فى صوت الديك أو النسر الأعظم القائم فى الأفق ما بين السماء والأرض. . .، إن هذا معناه أنه

مبدع، وإن تأثر بما تأثر من إبداعات سابقة بعيدة عن المعرى.. فإذا دخلنا ساحة الكوميديا الخالدة، فإننا نجد فى جزئها الأول الجحيم، صُوراً رهيبة حقًا.. تُمثّل فيما تمثّل نزوات الشباب الثائر المتحرر، مع سورة الغرائز البشرية لإشباع نَزَواتها مع الخطيئة والعذاب والمأساة والحياة الدنيا، ويمثّل المَطْهرُ: التجربة والنضج والفكر والتطهر والأمل فى حياة نورانية خالدة، بينما يُمثّل الفردوس، الكهولة المستنيرة مع الصفاء والخلاص والنور الإلهى العظيم.. وهى بكل ملامحها مرآة الحياة، وأغنيتها الإنسانية الكبرى على مّر العصور والدهور.

انتقال إلى الجحيم

الغابات الموحشة والدروب الحزينة

دانتى.. فى مونولوج حزين:

فى منتصف طريق حياتنا، وجدتُ نفسى فى غابة مظلمة، إذْ ضللتُ سواء السبيل، ما أقسى المُضِيَّ فى هذه الغابة الموحشة، إنها أشد مرارةً من كل شيءٍ مُرٍّ، حتى لايكاد الموت يزيد عنها فى شىء!!

آه!!! لا أُحْسِنُ أن أقول، كيف دخلتُها؟ فقد كنتُ مُثْقَلاً بالنوم فى اللحظات التى ضللت فيها سبيل الصواب، وكَمَنْ خرج لاَهِثَ الأنفاس من البحر إلى الشاطئ، فيلتفتُ إلى المياه الرهيبة، ويتأمل!! هكذا التَفَتَتْ روحى إلى الوراء، وكانت لاتزال لائذةً بالفرار، لكى تُحَمْلِقَ فى الطريق، الذى لم يَدَعْ أبداً إنساناً حيًّا!!! وبينما كنتُ أهبط مُنْدفعاً إلى الموضع الخفيض، ظهر أمام عينى شَبَحَ يُهَمْهِمُ بصوتٍ مَبْحُوحٍ من صمتِهِ الطويل!!!

يتقدم دانتى قريباً من وقع أقدام الشبح ويناديه فى ضراعة

دانتى:

شَبَحاً كنتَ، أم كنت إنساناً حيًّا. . .

فإنى أستنجدُ بك، فكنْ رحيماً بى كائناً مَنْ كُنت!!!

فيرجيل . . الشاعر صاحب الانيادة:

لستُ إنساناً، وكنتُ من قبلُ إنساناً وُلدتُ فى عهد يوليوس قيصر، وعشت أيام أغسطس الطيب فى عهد الآلهة المزيّفين الكاذبين.

دانتى . . في فرح :

أكاد أعرفك، نعم أكاد أعرفك . . .

فيرجيل :

كنتُ شاعراً وتغّنيت باسم ذلك العادل أَيْنيآسْ الذى جاء من طروادة بطلاً .

دانتى :

إذن أنت فرجيلُّلو، النَّبْعُ الذى فاض نهراً عظيماً . .

فيرجيل :

سمعتك تَنُوحُ وتبكى فَهرعتُ إليك . . لقد بَعَثَتنِي إليك سيدة جميلة مباركة لأكون دليلك فى رحلتك المباركة إليها، نعم إليها .

دانتى . . فى شوق :

بياتريتشى ! ! !

فيرجيل :

نعم، فهى التى نادتنى من عَليائها، تَأَلَّقَتْ عيناها أكثر من النجم، ونظرتْ نحوى نظرةً حانية، وهى تخاطبنى فى رقة ولطف وفى لُغتها أصوات الملائكة .

عودة إلى مسمع بياتريتشى مع فرجيل

بياتريتشى:

أيها الروح الكريم.. الذى لاتزال شُهرته باقية فى الدنيا، والتى ستَتَبْقىَ كَدَوْرة الزمن..

إنّ صديقى «دانتى» قد اعترضته صعاب شداد فى الطريق، على الشاطىء القفْر، فارتدّ من الرعب إلى الوراء، إننى أخشى أن يكون قد ضل ضلالاً بعيداً، فَتَحرك نحوه وأعِنْهُ بفصاحتك، وبما هو ضرورى لنجدته..

أنا بياتريتشى التى أبعثك إليه، وقد جئتك من مكان أرغب فى العودة إليه الآن، لقد حَرَّكنى الحبُّ الذى يجعلنى أتكلم وأتكلم، وقد وَضَعْتُ ثقتى فيك، فهيا إليه..

عودة إلى دانتى

فيرجيل:

وهكذا جئت إليك سريعا بأمرها، وأنقذتُكَ من براثن ذلك الوحش الرهيب، الذى أراد أن يمنعك من سلوك الطريق القصير

إلى الجبل الجميل، نعم هكذا جئت إليك ولايزال مشهد عينيها المتألقتين بالدمع، يدعونى إلى نجدتك وهدايتك.

دانتى:

ياللسماء!! يا أيتها الرحيمة الحانية التى عاونتْنى.. وأنت أيها الكريم الذى أطعتَ كلمات الصدق.

هأنذا سعيد برفقتك وصحبتك دليلاً ورائداً وهادياً.

انتقال إلى مدخل الجحيم حيث أنين المعذبين

صوت من الجحيم:

أيها الداخلون اِطْرَحُوا عنكم كُلَّ أمل!!!

دانتى.. يبكى:

ما أقسى ما أسمع وأرى ياسيدى..

فيرجيل.. فى ثقة جدية:

هنا ينبغى أن تَطْرَحَ عنك كل ضعف، لقد وصلنا إلى الساحة، التى سترى فيها المعذّبين الذين فَقَدوا غاية العقل.

دانتى :

أىّ أَلَمٍ مرير، يحملهم على هذا البكاء العنيف؟

فيرجيل:

إن هؤلاء ليس لهم فى الموت أمل، وحياتهم العمياء كانت شديدة الضَّعة، فهم حتى فى عذابهم يَحسُدُون كل المصائر الأخرى، فَدَعْنا من ذكرهم وهيا بنا.

دانتى :

لكن من هذا الشيخ الأشيب القادم فى سفينته نحونا؟

فيرجيل:

إنه أول حراس الجحيم كارون. . !!!

كارون. . فى غضب:

ويل لكما، لاتَأمُلاَ فى رؤية السماء أبداً فأنا آت لأقودكما إلى الضفة الأخرى فى الظلمات مع النار والجليد، وأنت أنت أيها الإنسان، بَاعِدْ بَيْنك وبين هؤلاء الموتى!! لن يكون هنا عُبورك، فإن زَوْرَقًا آخر سوف يحملك بعيداً بعيداً. .

فيرجيل.. يخاطب الحارس:

لاتغضب هكذا أيها الحارس الأمين.. فالذى تراه هو من إرادة الله، ولاتسألنى بعد ذلك مزيدًا !!!

برق ورعد وعواصف مع النواح والبكاء

دانتى:

لكن ما هذا الذى أسمع وأرى..

فيرجيل:

هذا الذى يحمل بيده سيفاً، ووراءه ثلاثة شيوخ كبار؟

دانتى:

نعم نعم إنهم يبتسمون لنا.

فيرجيل:

هذا هو هوميروس، أما الثلاثة الآخَرون فَهُم: هُورَاثْيوس Horathius وأفيديوس Ovidius ولوكانوس Locanus

دانتى:

عجيب وهذه القلعة النبيلة ذات الأسوار العالية، وهذا الخليط من الرجال والنساء فى ذهاب وإياب؟.

فيرجيل:

إنهم طاليس، وديموقريطسْ، وديوجين، وزينون، وإليكترا، وهيكتورو، وبروتسو، والإسكندر، وهيلانة، وسميراميس، وكليوباترا، وراحيل، وأورفيوس، وكاليجولا، وكثيرون..

دانتى:

عجيب!!! لكن ما هذا الميزان؟

فرجيل:

صهٍ فقد دخلنا الآن منطقة السكون المطلق وهذا الميزان هو ميزان الآثام، وهذا الذى يجلس إليه هو قاضى الجحيم، صَمْتاً ولا تُعَطِّلْ رحلةً خَطَّها لك القدر بحكمته العالية!!

أصوات صراع بين المعذبين

دانتى:

ومن هؤلاء الذين يتصارعون فى الجحيم؟

فيرجيل:

إنهم جماعات البخلاء والمُبذرين من الفاسدين.

البخلاء:

لماذا كنتم مجانين ومسرفين؟

المسرفون:

لماذا كنتم أدنياء بخلاء طامعين؟

فيرجيل:

هم جميعا انحرفت عقولهم فى الحياة الأولى، فلم ينفقوا شيئا عن تقدير سليم أو معقول، وبهذا تَنْبحُ أصواتهم حين يتصارعون ويتجادلون حتى إذا جاءوا إلى نقطتين فى الدائرة فَصَلَتْهمُ آثامُهم المتعارضة.

دانتى:

انظر سيدى.. إلى هؤلاء!! لقد غَمرهم الطين فى ذلك المستنقع الرهيب، وجوهم عابسة كئيبة وكلهم عريا عرايا إلا من الطين!!!

فيرجيل:

هؤلاء عبيد العنف والغضب والبغض والحِقد، يَبْلَعون الدَّنس والعَفَن، ويستنشقون دُخان الأسى والحزَنَ.

دانتى:

وما هذه الأمواج الدامية الحمراء؟

فيرجيل:

إنها أمواج نهر الدماء الفوارة من شدة الغليان. انظر إلى هؤلاء، إنهم ركب المنافقين والمرتشين والقوادين والقوادات وأبناء وبنات خطايا الضلال والآثام.

دانتى:

يالعدالة السماء!! ومن هؤلاء الواقفون بسهامهم الحادة حول ضفتى النهر؟

فيرجيل:

شياطينُ العذاب، كلما حاول أحد من الغائصين المعذبين فى نهر الدم، أن يرفع رأسه أو جسده، فإنهم يرشقونه بسهامهم، فيغطس فى حمم اللهب والعذاب.

دانتى:

وما هذه الغابة الموحشة الجرداء؟

فيرجيل:

إنها مَثْوى المُنْتحِرين الذين تعجلوا حياتهم فأزهقوها.. انظر إلى أعشاشها المخيفة؟

دانتى:

لها وجوه نساء وأجساد طيور!!

فيرجيل:

وهى تنُوح بدموع من دماء!! اقطع غُصناً صغيراً جدا من أية شجرة وسوف تعرف ما لايخطر لك على بال!!!

دانتى.. يقطع غصنا، فيئن وينوح مع الشجرة:

الشجرة تئن وتنوح والدماء تسيل من موضع الغصن المقطوع، لا أحتمل ...لا أطيق!!! ليس لهذا العذاب الشديد مثيل!!

انتقال

وكانت نهاية رحلة الجحيم، عند هيكل يشبه طاحونة، تحركها الريح، وسط الضباب، إنها مثوى إبليس اللعين!!

وحين أشار فرجيل إلى إبليس ولفت نظر دانتى إلى مشهده ومشهد الخائنين معه، زاد خوف دانتى حتى لم يَعدْ حياً ولا ميتاً. . كان لإبليس ثلاثة وجوه مُرعبة، الأماميُّ منها أحمر اللون، والأيمن أبيض، والايسر أسود وحين نظر إليه رآه يمضغ فى هدوء بافواهه الثلاثة يهوذا، وبروتس، وكاسْياس، رءوس الخيانة الكبرى!!

انتقال إلى جبل المطهر

حارس الجبل . . فى أمل:

امض على خير وسلام مع رفيقك الطيب لكن قبل أن تمضى، عليك أن تغسل وجهك من علائق الجحيم، بقطرات من أنداء الصباح . .

فيرجيل:

ثم ماذا؟

حارس الجبل:

بَعْدَها، طوِّقْ خصرك بهذا النبات المبارك، الذى يعود إلى النماء، كلما اقتطع يعود طيباً مباركاً من جديد.

فيرجيل:

ها هى الشمس المباركة فى دور طلوعها وإشراقها وهى التى سترينا كيف نصعد إلى المرتقى الجميل.

أصوات وضراعات

المبتهلين والمبتهلات

أصوات:

اللّهم لك الحمد.. اللهم لك الحمد..

اغفر برحمتك معاصينا، دون النظر إلى ما نحن أهل له، وخَلِّصْنا من آثار سيئاتنا، وتُبْ علينا ربَّنا، إننا لانؤدى لك وحدك ختام هذه الصوات والضراعات من أجل ذواتنا، بل فى سبيل من تخلفوا بعدنا وكما نغفر للجميع ما عانيناهُ من إساءاتهم إلينا فالْطُفْ بنا وارحمنا، واغفر خطايانا..

اللّهم لك الحمد.. اللّهم لك الحمد..

اللّهم لك الحمد!!!

انتقال نحو قمة المطهر

دانتى :

سيدى، فى ملحمتك الشهيرة الإنيادة أمر عجيب، شغلنى منذ خطواتنا الأولى فى ساحات الجحيم، وعلى عتبات المطهر الأولى.

فيرجيل :

ولمَ لَمْ تسألنى عنه من قبل؟

دانتى :

شغلتنى المشاهد، بمواجعها وبأشواق أصحابها إلى الخلاص والتطهير فى ساحات الغفران..

فيرجيل :

قُل ماتريد..

دانتى :

تقول فى الإنيادة إن صلواتنا الضارعة قد لاتغير شيئا من أحكام السماء..

فيرجيل:

نعم، قلتُ هذا، ورددتهُ كثيراً. .

دانتى:

وما رأيك إذن فيما نراه الآن؟

فيرجيل:

قد أجيبك الآن، ولكنى لن أُقنعك، كما يجب أن تقتنع!

دانتى:

وَمَنْ يُقْنِعُنى، وأنا حائر فى مسالك غامضة؟

فيرجيل. . فى ثقة:

بياترتيشى الطاهرة هى التى ستُقْنعك، وهى التى ستجيب عن سؤالك، وتروى ظمأك إلى المعرفة الحقة.

دانتى. . فى نشوة:

أهذا حق؟ أهذا حق ياسيدى؟

فيرجيل:

نعم هو الحق كل الحق. .

دانتى:

بحق السماء، عَجِّلْ بى إذن إلى ساحتها الطاهرة أنا لم أعد أشعر بأى تعب أبداً، أحس أنى أولد من جديد!!

فيرجيل:

صبراً صبراً فليس الأمر بيدى، لأننا معا نمضى فى طريق مرسوم مقدور؛ لكننا على آية حال قد اقتربنا..

دانتى:

اقتربنا؟!!

فيرجيل:

نعم نعم.

الملائكة وأصواتها

فيرجيل:

ألاتسمع صلوات الملائكة الأبرار؟

الملاك الأكبر:

طُوبى لأنقياء القلوب!!!

طُوبى لأصفياء الأرواح..!!

دانتى:

هيا بنا الآن.

فيرجيل:

مهلاً مهلاً..

ملاك الأكبر:

لايمكنكم المضى قُدماً أيتها النفوس المباركة دون أن تتطهروا بالنار قبل العُبور.

دانتى.. فى خوف:

سيدى!!!

فيرجيل:

لاتخف ياعزيزى. لاتخف.

الملاك:

تطهروا بالنار حتى تبارككم السماء..

فيرجيل.. فى همس لدانتى:

ربما ينالك بعض العذاب هَهُنا ولكنه لنْ يبلغ بكَ حدَّ الموت، حتى لو مكثت مُدْرجاً بتلك النيران ألفَ عام!!!

دانتى:

هكذا؟

فيرجيل:

نعم ولن تذهب أو تسقط شعره واحدة من رأسك صدقنى يابنى.. وتقدم خلفى.. أنا أمامك وأنت ورائى، ها هو اللهب يندفع أمامك.. ادن منه.. ثم ادفع إليه بكُمّ ردائك، لتتحققَ من صدق ما أقول.

هيا.. أقدِمْ وتقدمّ، وخَلِّ عنك مخاوفك!!!

فيرجيل:

انظر.. انظرْ إلى هذا الجدار..

دانتى:

نعم سيدى.

فيرجيل:

ليس بينك وبين بياتريتشى الحبيبة، سوى هذا الجدار!!

دانتى.. فى فرح:

ياللسماء!! ياللسعادة!!

فيرجيل:

وعند هذا الجدار أيضا، سيكونُ فراقُ ما بينى وبينك!!

دانتى.. يبكى فجأة:

هكذا ؟؟؟ أكُلُّ لقاءٍ عزيز معه فراق عزيز؟

فيرجيل:

آه.. هذا هو حكم السماء يا بنى العزيز.. هنا تنتهى خطواتى معك، فليس لمثلى أن يخطو خطوة واحدة نحو الفردوس أو ساحة الفردوس!!

دانتى.. يعود للبكاء:

فيرجيل:

لادموع ولابكاء بعد الآن.. ولادموع ولابكاء بعد هذا المكان، وهذا الزَّمان.

الملاك:

أسرعوا الخُطَى، قبل أن يخيم الظلام، إن الشمس آخذة فى المغيب.

فيرجيل.. دانتى وهو يودعه:

هذه آخر خطواتى معك يابنى!!! لقد حان الفراق بيننا، لكنه كما أعتقد، البداية إلى دوام لقاءٍ مع سماء الصفاء والنقاء.

دانتى :

سيدى !!

فيرجيل :

لقد شهدت كل شئ . . . ما حلمت به وما لم تحلم وما لم يخطرْ لك فيِ وهم أو خيال، شاهدت النار الزمنية فى جبل المطهر، بعد النار الأزلية فى الجحيم، والآن جئت إلى موضع لا أرى ولا أتبيّن أنا فيه بنفسى شيئا!!

دانتى :

سيدى !!

فيرجيل :

ولقد أتيت بك هنا، بعد طول طواف وصعود، بحذقى ومهارتى وهأنذا، آدَعُكَ خارج السبل المنحدرة، وبعيداً عن المسالك الضيقة، ، فعليك الآن، أن تتخذ من بهجتك دليلاً لك، ولتنظر إلى الشمس الطيبة، التى تشعُّ على جبينك . .

دانتى :

يخيل لى أنى أراها، تبتسم لى، من وراء هذا الجدار تبتسم لى مِنْ بَعيد، نعم!! نعم!!

فيرجيل :

لم يَعُد هناك أمر بعيد أبدا ، وعليك أن تمضى هنا بين هذه الأزهار أو تجلس فى ظلال عبيرها الطيب إلى أن تلقاك، وتأتيك العينان الجميلتان وهماَ مُشْرقتان بالنعيم، تلك العينان اللتان حَمَلَتَانَى ببكائهما العذب، على المجئ إليك، والصعود بك، وصحبتك.

دانتى :

لا أدرى ما أقول!!! فقد عجز اللسان والوجدان عن البيان.

فيرجيل :

إنّ إرادتك الآن، حرة خالصة مستقيمة، فلا تنتظر منى بعد هذه اللحظات، مزيداً من كلمة أو إشارة وداعاً، إلى دوام لقاء..

دانتى :

يبكى ثم يختفى بكاؤه مع غناء وصلوات الملائكة تتقدم بياترشتى نحو دانتى.

بياترلتشى :

دانتى!!! هأنذا أمامك.

دانتى :

يبكى من الفرح والذهول .

بياتريتشى :

لابكاء ياعزيزى، لذهاب دَليلكَ وهاديك!! فإنك فى حاجة للبكاء لأسباب أخرى، ؛ لأن تذرف الدمع، لجراح قديمة!!

دانتى :

لم تَعُدْ فى أوصالى قطرةُ دمٍ لاترتجف!!!

بياترتيشى :

دانتى!! ما هذا الذهول؟ انظرنى وتطلع إلىّ . . أنا فى الحقيقة بياترتيشى!!!

دانتى :

نعم نعم . . ليس حُلماً ما أراه، إنه حقيقة!!

بياترتيشى :

قل لى .

دانتى :

نَعَمْ!!!

بياترتيشى :

كيف وجدتَ نفسك، جديرًا بارتقاء الجبل؟ ألا تدرى أن هذا موئل السعداء من الأبرار الأطهار؟ .

دانتى : (–)

بياتريتشى :

لماذا أنت صامت هكذا؟

الملاك . . يتقدم معاتبًا بياتريتشى :

لِمَ تُزهقَينهُ هكذا ياسيدتى؟

نعم نعم واسمعى صوت الملائكة معى . . نعم نعم قَسَوْتِ على «دانتى» فَذهِلِ عن الجواب، وسكت عن الكلام.

بياتريتشى . . فى ثقة :

الحقَّ أقول لكم جميعاً، إنكم تظلون أيقاظا فى اليوم الأخير، بحيث لا يُخفى عنكم الليلُ ولا النومُ خطوةً واحدة أو لحظةً واحدةً يعيَشُها البشر فى مسالكهم وحياتهم .

الملاك :

وما القصد ياسيدتى فيما تقولين؟

بياتريتشى :

وما القصد من إجابتى، هو أن يفهمنى بوجه خاص، مَن يبكى فى ذلك الجانب، حتى يدرك أنَّ لكل خطيئةٍ عَذَابَها المناسب!!

الملاك :

لكن. . !!

بياتريتشى :

الحقَّ أقولُ. . إننى ساندته فترة من الزمان، واتجهتُ به حقًّا إلى الطريق القويم، لكنه رغم إرادته، اتجه نحو طريق الزلل، وراءَ الصُّور الزائفة ، والمتُع الباطلة. . كان ذلك، عندما سَمَوْتُ أنا من حياة الجسد إلى سماء الروح.

الملاك :

ثم ماذا ياسيدتى؟

بياتريتشى :

ولم أجدْ وسيلةً لإنقاذه، رغم أنوار الإلهام التى ناديتهُ بها فى حلمه ويقظته على السواء سِوىَ أن يَرىَ عَذَاب الآثمين فى الجحيم، ويَشهد المتضرعين فى ساحات جبل المطَهْر، فيتّعظ،

ويندم، ويستغفر ويتوب، ويصبح حقاً، جديراً بالصعود إلى السماء، سماء الفردوس والنعيم المقيم.

الملاك:

لَعَلَّ لكِ عُذراً، فيما بدا لنا من إرهاقكِ له!!

باتريتشى:

لقد بكيتُ وبكيتُ كثيراً من أجله، ولذا زُرتُ باب الموتى، وهبطت من السماء إلي مدينة الجحيم لإنقاذه، وحَملْتُ ضَرَاعاتى ومدامعى إلى مَنْ جاء به صُعُداً، إلى هذا المكان السامى، فكان له خير دليل، وأكرمَ مُرشد، وأطيب هادٍ إلى سواء السبيل.

دانتى.. يبكى فى ندم.

بياتريتشى:

تكّلمْ تكّلمْ.. ولاتَبْكِ فلا دموع ولا بكاء بعد الآن، وإن كنتُ أحق الأرواح بسماع كلامك، ومشاهدة دموعك، لَعَلّ ذلك يُسْهِمُ فى تطهيرك ونقائك وصفائك!! إننى أحس أنك حقّا تتألم، لكن تكّلمْ حتى أعرف إلى أى مَدىً أنت تتألم!!

دانتي:

لقد انحْرَفَتْ خطواتى، عندما توارى وَجْهكِ عنى فى الدنيا، وقبل الرحيل إلى الدار الآخرة..

خَدَعتْنى الأشياء الماثلةُ أمامى، بزَائفِ لَذاّتها الفانية، عندما تركتِ عالمى، ودنياى، وحتى أحلامى!!

بياترتيشى:

وإرادتك؟ أين كانت إرادتك؟ لقد بكيتُ من أجلك كثيراً كثيراً.،. ألَمْ تكن تدرى أن كل شئ لا يَخْفَى على رؤية الله الأعظم؟؟!!

دانتي.. يعود إلى البكاء.

بياتريتشى:

كفى بكاءً ياعزيزى كَفَى..كَفَى فإن اعتراف الآثم بإثمة، يُخففّ من ذنبه، ويطهر قلبه، بدموع ندمه وتوبته.

دانتي:

نعم نعم.

بياترتشى:

ستعرف الآن، كيف كان ينبغى أن يقودك جسدى، وهو ممدد فى قبره إلى طريق الفضيلة.

لقد كان عليك أن تعلوَ فى أثرى، على معراج صُعودى، عندما أصابك أول سهم، من سِهام الدنيا الخادعة..

دانتى:

نعم هذا حق.

بياترتشى:

إنّ صغار الطير تظلُّ مُتَمَهِّلَةً عند رمية سهم أو سَهمين، أو ثلاثة، لكنْ من العبث أن تُنْصَبَ الشباك أو تُرمى السهام، على مَرأىً من الطيور المكتملة القوية!!.

دانتى : (–)

بياتريتشى:

عُدتَ ثانية إلى الصمت، وقد خفضتَ رأسك... الحق أقول لكَ، مادُمتَ تَأسى بسماع كلامى فارفعْ رأسك، نعم ارفع رأسك حتى ينالك مزيد من الندم، بدوام النظر إلىّ..

دانتى:

(يسقط مغشيًّا عليه من تأمله فى عينيها بياتريتشى!!!)

الملائكة:

لقد سقط مغشياً عليه من الذهول..

هيا لانقاذه.

الملاك:

أُغْمُرْنَهُ فى النهر المبارك قليلاً وسوف يصحو مُعافىً فَتِيًّا.. من جديد!!

حركة الأمواج مع عملية التطهير

دانتى.. يستيقظ على مهل:

حمداً للسماء وشكراً لكُنَّ أيتها المباركات الطيبات..

الملائكة:

نحن هنا حُوريّات، لكننا فى السماء نجوم وقبل أن تهبط سيدتُنا وأميرتنا «بياتريتشى» كنا قد أضحينا وصيفاتها الأثيرات!!.

دانتى:

حمداً للسماء، وشكراً لَكُنَّ ولَها!!

لكن أين هى؟ وأين أنا الآن منها؟

الملائكة.. فى ايقاع موسيقى:

ها هى أميرتُنا، أمامك فتقدمْ وانظر إليها..

سوف تراها بَعْينَينْ صحيحتين تتّفقان مع عينيها المتألقتينْ اللّتَينْ، عرفتَ الحبّ عن طريقهما ذاتَ يوم!!

فى تلك الدنيا البعيدة!!!

تَقَدَّمْ إنها تبتسم لمقدمك

تَقَدّمْ إنها تنظر إليك

تَقَدّمْ نحو الجلال المتألق

بالنور الأبدى المديد..

على شاطئ الفردوس

بياتريتشى.. فى رقة وعذوبة:

تَقَدَّمْ يا عزيزى، إنك ستكون هنا، من سكان هذا الوادى

لفترة قصيرة، لكنك ستصبح معى بلا نهاية ، من أهل روما العظيمة . .

دانتى :

ما أسعدنى حقًّا وحمداً وشُكراً لله ، ولكِ .

بياترتيشى :

لهذا أطلب إليك أن تتأمل طويلاً ما تشهده وتراه، ثم تسجله حرصاً على صالح العالم الذى يحيا حياة الشرور، عندما تعود إلى عالَمك الأدنى .

دانتى :

سمعاً وطاعةً .

بياتريتشى :

هلا تسرع الخُطى قليلاً، حتى تصبح فى موضع ملائم للإصغاء، ولحوار السؤال والجواب؟ لكن قل لى، لم لا تجترئ وترد على سؤالى بما تريد، مادمتَ تسير إلى جوارى الآن؟

دانتى :

لَعَلَّكِ يا مولاتى عليمة بحاجتى ، وبما يطيب لها .

بياتريتشى:

كلُ ما أرغبه منكَ، هو أن تحرر نفسك من الخوف والخجل حتى تكفّ عن الكلام، شأن الرجل حينما يحلم!!

دانتى:

نعم نعم.

بياتريتشى:

وعليك أن تعى كل ما أقوله لك، لتنقله إلى كل من يعيشون الحياة التى هى إلى الموت سباق وسباق!! فى دُنيا فانية، تافهة المتعة، قصيرة الأمد.

دانتى:

نعم يا أميرتى..

بياتريتشى:

وحين تدون كلماتى.. اذكُر فيما تذكر، كيف رأيت الشجرة الخالدة، التى انتُزعتْ ههنا أوراقها مرة ثانية منذ المرة الأولى، التى كانت بيد آدم فى فجر البشرية الأولى..

دانتى:

وكيف يامولاتى أذكر ماتريدين أن أذكره؟

بياتريتشى:

تعرفُ أن كلَّ من يسرقها أو يسلبها شيئاً، يُسيءُ بقبيح فِعله، إلى قَداسة الله الأعظـم الذى لم يخلقها هكذا مقدسة، إلا لخدمة هدفه الأسمى؟

دانتى:

لقد أكَلَ منها أبونا آدم، يامولاتى!!!

بياتريتشى:

وعندها!!!

دانتى:

ماذا حدث عندها؟

بياتريتشى:

وعندها، تطلعت النفسُ الأولى فى شوق وعذاب آلاف الآلاف من السنين، إلى من يغفر لها خطيئتها الكبرى. وإنك

لَتُعَدُّ غائباً عن وعيك، إذا لم تُقَدَّرْ، أن سبباً فريداً عظيماً، قَدْ سَمَا بهذه الشجرة إلى ذلك الارتفاع الشاهق، وبه امتدتْ هكذا، نحو القمة العليا.

دانتى:

كل ما تقولينه يامولاتى. ينطبع فى ذهنى أولاً بأول، كَشَمْع الختم، الذى لاتتغير صورته مطلقاً!!!

بياتريتشى:

جميل..

دانتى:

ولكنّ كثيراً من كلماتكِ تُحلق بى كثيرا، عالية فوق مداركى.

بياتريتشى:

كيف ياعزيزى؟

دانتى:

الحقّ أقول، إننى كثيراً ما أحارُ فى فهمها. إن كلماتكِ

الحلوة العذبة، التى تتوق نفسى لسماعها، وتكرار سماعها، كثيراً ما يزداد بُعْدى عنها أوْ بُعْدها عنّى، كلما سعيتُ شوقاً إليها وإلى سماعها!!

بياتريتشى . . تبتسم فى ضحكة خفيفة:

بدأت تفهمنى ياشاعرى!!! وكل هذا، لكى تعرف أية مدرسة اتَّبعْتَها أنت، ولكى ترى كيف يمكن لتعاليمها أن تتبع كلماتى!!

دانتى:

آه غمض الأمر علىّ الآن . .

بياترينشى:

أريد أن أوصيك، بألا تثق كثيراً فى العلم الفلسفى الذى يبحث عن الحقيقة، دون العناية البصيرة، بالعلم الذى يشعُّ ويفيض من الإلهام السماوىّ العُلوى!.

دانتى:

نعم نعم يامولاتى، فهمت فهمتُ!!

بياتريتشى:

ولكى تدرك أن هذا الطريق الخارج عن الصراط، يَنْأى عن طريق الله كما تنأى عن الأرض السماء!!

دانتى:

لا أذكر يا أميرتى، أنى جعلتُ نفسى غريبة عنك أبداً أبداً.

بياتريتشى:

إذا كنتَ قد نسيت، فاذكر كيف شربتَ اليوم من النهر المبارك، وإذا مادلّ الدُخان على اشتعال النار، فإن هذا يؤكد وجودها ، كما يؤكد نسيانُك، إن إرادتك تناوشها الخطيئة، باتجاهها وجهةً أخرى. . مخالفة!!

دانتى:

عفواً مولاتى!! قد فهمتُ ما غاب عنى، لكنّ هناك سؤالاً يُحيّرنى. إنّ عالمَنَا الأرضىّ، فى دنيانا البشرية، غارق فى كثير من الخطايا، بعض الناس يَنْسبون هذا إلى إرادة سماوية، آخرونُ ينسبونه إلى البشر أنفسهم إننى التمس منك الجواب، وأريد اليقين!!

بياتريتشى:

ياعزيزى.. إن دنياكم عمياء.. وإنك لآت منها حقاً بهذا السؤال الذى يتفق معها.. أنتم مَعْشرَ البشر تُرْجعون كثيراً من هذه الأمور إلى السماء وحدها، مع أن مسئولية حدوثها تَقَعُ عليكم أنتم!! ولو كان الأمر كذلك كما تظنون، لَقُضِىَ فيكم على الإرادة الحرّة المسئولة، ولما كان هناك داعٍ إلى الجزاء العادل من السماء.

دانتى:

هذا حق.. حق!!

بياتريتشى:

أسألك أنت بالذات ، ألا ترى البشر يبتهجون للخير، ويحزنون للشر؟.

دانتى:

نعم.

بياتريتشى:

إنّ الله العادل الأعظم، قد أعطى الإنسان الاستنارة بضوء

العقل لاتباع الخير واجتناب الشر ، كما أعطاه الإرادة الحرة التى إن احتملتْ الَعَناء فى بداية معاركها، مع الأهواء والنزوات، ظفرت بالرضا الإلهى والمحبة الإلهية فى النهاية.

دانتي :

حدثينى عن المحبة الطبيعية وصلتها بالأخطاء والخطايا من جهة والصالح أو الطيب من الأفعال والأعمال؟

بياتريتشى :

المحبة الطبيعية هى المحبة العاقلة، وهى لاتقع فى الخطأ أو الخطيئة... ربما تتعرض للخطأ أو للخطيئة، إما بخبيث مقصدها، وسُوء سلوكها وجنوحها، وإما بزيادة حرارتها أو نقصانها.

دانتى :

يحتاج الأمر إلى توضيح.

بياترتشى :

أريد أن أقول: إن المحبة العاقلة، إذا اتجهت فى كل نواياها وسلوكها إلى الله أعتدلتْ واستوت فى محبة الخيرات الدنيوية، وسَمَتْ بها دُون أن تَجنْحَ إلى الخطايا أبداً!!!

دانتى :

جميل!!

بياتريتشى :

لكنها إذا جنحت بَهَواها إلى مُتعٍ ناقصة تافهة ونَقَصَتْ عنايتها بالخير وسُلوك الخير، فإن الإنسان بلا ريب يقع فى شباك الخطايا والأخطاءِ والشرور.

اسمع ياعزيزى.. ما من دليلٍ على التطهر سوى الإرادة العاقلة نفسها. وهى إرادة تملأ النفس نُورًا حين تكتمل حُريتها، وإن العالم كلَّه يسوده النظام الكامل العادل، حين يجعل كائناته، فى وحدة، مع الله الواحد الأعظم.

***

على مَسْرَى الصعود من الفردوس الأرضى، إلى سماوات الفردوس الأعلى، كانت بياتريتشى تتنهد حُبًّا وإشفاقاً على دانتى، وتنظر إليه نظرة الأم إلى وليدها الذى يتكلم طويلاً ويَهْذى أحياناً كثيرة، لقد كانت أشْبَه بعصفور، يحتضنُ أعشاش صغاره فى الليل ليْطرَحَ عنها بعيداً، كل ما هو دخيل، ويُفيضَ عليها، كُل ما هو حبيب جميل.

دانتى :

أكاد لا أعى يا أميرتى، من فَرْطَ ما يملؤنى من السعادة مايَبْهَرُك يا عزيزى.

بياتريتشى :

إنما هو فضل من الله ليس لأحد أن يمنع عنه رُوحَهَ ونفسه!!!

دانتى :

نعم يا أميرتى الحبيبة!!!

بياتريتشى :

انظر إلى هذا الضوء الساطع..

إن الكون كلّه مرتبط بهذه النقطة، من دائرة النور الخالد وإن السماوات تتسع وتضيق، تبعاً للفضل الإلهىّ، الذى يسرى فى أرجائها الرحيبة!!

وقد ازدادتْ السموات هنا تَوَهجا، لابتهاج الملائكة بما سمعوه، وصَدَحَتْ أصواتهم بما أنشدوه فى تمجيد الله الأعظم..

حمداً لله!!! حمداً لله!!! حمداً لله!!!

تختفى بياتريتشى رويداً رويداً
فلا يراها «دانتى» إلا كشبح بعيد

دانتى:

بياتريتشى: ؟ أميرتى. . ؟ أميرتى؟ أين أنت؟؟!!

بياتريشتى. . من بعيد:

لقد خرجتُ الآن إلى سماء النور الخالص، إلى سماءِ السّماوات!!!

دانتى:

آه. . لهفى على نفسى مِنْ بعدك. . إننى لا أرى إلا نهراً من نور. . !!!

بياتريتشى:

ما تراه ليس سوى ظلال المحبة من حقيقة النور .

دانتى:

أيها البهاء الطاهر، هَبْنى القوة، لكى أرْوى للبشرية على أية حالٍ رأيتُكَ. . وشهدتُكَ. . وأبصرتُكَ. .

بياتريتشى . . أكثر بعداً:

إن هذا النور الأعظم، يكشف لكل الكائنات عن خالقها، وهى التى لاسلام لها، إلا فى محبته ورؤياه.

دانتى:

أين أنتِ يا أميرتى؟

لقد بَعُدتِ عن مكانى كثيراً كثيراً . .

بياتريتشى:

أنا أراك، وأنظرُ إليكَ، ولا أرى لكَ إلا خيراً.

دانتى:

أتوسّلُ إليك أن تحتفظى لى بطهارتى، حتى تَرُوقَ لكِ روحى، عندما أموت!!!

بياتريتشى:

لَكَ ما تريد . . وفوق ما تريد!!!

تختفى بياتريتشى نهائياً

دانتى . . فى صفاء:

يا مَنْ عاش بها أملى فى دنياى، وسيظل حيًّا خالدًا فى أخراى. . لقد احتملتِ فى سبيل خلاصى وحريتى أَنْ تتركى آثار قدميك الطاهرتين هناك فى وديان الجحيم. .

فَلْتَحَفظى جلالك، فى شخصى، وفى نفسى، وفى روحى، حتى أكون جديراً بلقائك، حينما تتخلص روحى من جسدى. . . ،أيُّها النُّور الأسمىٍ، الذى يشتّد عُلُوُّهُ على أفكارنا الفانية أَعِرْ عقلى وقلبى، قبساً من الصورة التى بدوتَ عليها وَدَعْ للسانى من القوة، ما يجعلُه قادراً على أن يتركَ من أمجادِك لَلَأجيال، مُجَرَّدَ شرارةٍ واحدة من نورك الأزلىّ الخالد!!!

لقد شهدتُ الأوراق التى تناثرتْ فى أرجاء الأكوان، برباط المحبة فى كتاب واحد!!!

وسيُصبحُ قَوْلى للأجيال، أعْجَزَ من لَغَطِ طفلٍ رضيع، لايزال يُبّلل لسانهُ، من حَنَان ثدْى أُمَّه!!!

هأنذاك أحيا من جديد، أمام هذا المشهد الجديد. . فقد أردتُ أن أرى كيف اتَحَدتْ الصورة بالدائرة، وكيف شهدتُ لها موضعاً فيها، وكيف وجدتُ لنفسى مكانا معها. . . على ضوء المحبة الخالقة، المحبة التى تُحرّكُ الشُّموسَ والكواكبَ وسائر الكائنات، فى الأرض والسموات.

أهم المصادر والمراجع

- أبو العلاء المعرى: رسالة الغفران: تحقيق وتقديم الأستاذة الدكتورة عائشة عبدالرحمن ط٦ - دار المعارف القاهرة ١٩٧٧م.
- دانتى - الكوميديا الإلهية. ثلاثة مجلدات ترجمة وتحقيق وتقديم وتعليق الأستاذ الدكتور حسن عثمان.

الجحيم. المطهر. الفردوس - دار المعارف ١٩٧٧م.

- د. طه حسين: مع أبى العلاء فى سجنه ١٩٦٠م.
- عباس محمود العقاد: رجعة أبى العلاء ١٩٥٥م.
- د. عبدالرحمن بدوى: الزمان الوجودى (نص رسالة الدكتور بدوى للدكتوراه) النهضة المصرية ١٩٤٦م.
- د. زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان - مكتبة مصر ١٩٧٠م.
- د. زكريا إبراهيم: فلسفة الفن فى الفكر المعاصر - مكتبة مصر ١٩٨٨م.
- د. عبدالغفار مكاوى: ألبيركامى - دار المعارف ١٩٦٤م.
- د. عبدالقادر محمود: الفلسفة الصوفية فى الإسلام ط٣ - دار المعارف ١٩٩٣م - ١٩٩٤م.
- د. عبدالقادر محمود: الفكر الإسلامى والفلسفات المعارضة فى القديم والحديث ط٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.

الفهـــــرس

رقم الإيداع ١٥٥٦/ ١٩٩٧
ISBN
977-294-010-8

طبع : آمون
العنوان: ٤ فيروز - متفرع من إسماعيل أباظة
تليفون: ٣٥٤٤٣٥٦ - ٣٥٤٤٥١٧



